جامعة محمد خيضر-بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الاجتماعية

شعبة الفلسفة

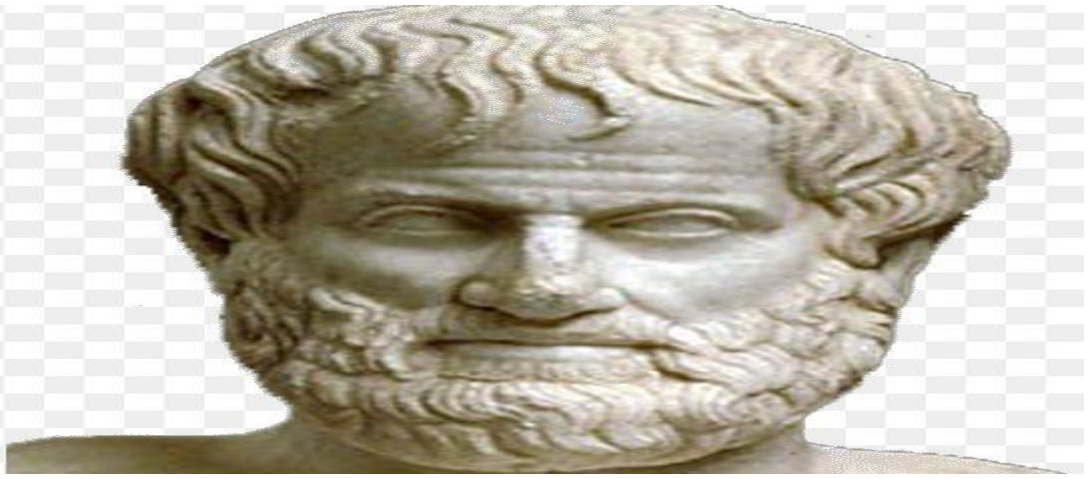

محاضرات في الفلسفة اليونانية موجهة لطلبة

السنة الثانية ليسانس-فلسفة

اعداد: الدكتور رشيد قدور

السنة الجامعية: 2023/2022

محتوى المادة حسب عرض التكوين

المقياس: الفلسفة اليونانية.

السداسي: الأول.

وحدة التعليم: أساسية.

الرصيد: 5

المعامل: 3

أهداف التعليم:

- التعرف على ميلاد العقل الفلسفي اليوناني.

- معرفة الفلسفة اليونانية كمرجعية عالمية.

- التمييز بين مرحلة ما قبل سقراط ومرحلة سقراط.

- الاطلاع على المباحث والقضايا التي بحث فيها فلاسفة اليونان.

-المعارف المسبقة المطلوبة:

- معرفة أليات الفكر الفلسفي وطبيعته والاطلاع على الفكر الشرقي القديم على أساس أن الفكر اليوناني نهل من الحضارات الشرقية القديمة.

-محتوى المادة حسب عرض التكوين:

-مبحث الميتافيزيقا (اللاوجود، اللاهوت....)

-مبحث الأنطولوجيا (الوجود، الإنسان، الطبيعة....)

-مبحث الأكسيولوجيا (الأخلاق، الجمال.....)

-مبحث المعرفة (المعرفة، أدواتها، تاريخها، نقدها....)

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

المقدمة.....1

الفصل الأول:

الارهاصات الأولى للفكر اليوناني/من الميثوس الى اللوغوس.

1-الميثولوجيا اليونانية..... 5

1.1 –النحلة الأورفية.....5.

2.1-نحلة الوسيس.....9

2-الحكماء السبع.....10

3-مراحل الفلسفة اليونانية.....13

الفصل الثاني:

مرحلة النشأة في الفلسفة اليونانية

-فترة ما قبل سقراط.

1-الفلاسفة الطبيعيون الأوائل أو المدرسة الطبيعية الأولى.....15

أولا-طاليس.....16

ثانيا-أنكسيمندريس.....17

ثالثا-أنكسيمانس.....19

رابعا-هيراقليدس.....21

2-الفلسفة الفيثاغورية.....23

3-الفلسفة الايلية ونشأة الميتافيزيقا.....25

أولا-أكسانوفان.....26

ثانيا-بارمنيدس.....27

ثالثا-زينون الايلي.....29

4-الطبيعيون المتأخرون (المدرسة الطبيعية الثانية، الاتجاهات التوفيقية)

.....33

أولا-أمباذوقليس.....34

ثانيا-أنكساغوراس.....36

ثالثا-ديمقريطس.....40

-الفترة الثانية من مرحلة النشأة (الحركة السفسطائية وسقراط)

1-الحركة السوفسطائية.....42

أولا-ظروف نشأتها.....44

ثانيا-أهم روادها.....45

1-بروتاغوراس.....45

2-جورجياس.....47

2-سقراط-.....49

أولا-موقف سقراط من الفلسفة السابقة عليه.....51

ثانيا-منهج سقراط وفلسفته.....52

الفصل الثالث:

مرحلة النضج في الفلسفة اليونانية (أفلاطون وأرسطو)

1-أفلاطون.....57

أولا-التعريف بأفلاطون ومؤلفاته.....57.

ثانيا-فلسفته.....60

1-نظرية المعرفة.....60

2-نظرية المثل والجدل.....61

3-النفس الإنسانية.....65

4-الأخلاق عند أفلاطون.....67

5-الفكر السياسي عند أفلاطون.....68

2-أرسطو.....73

أولا-التعريف به ومؤلفاته.....73

ثانيا-مذهب أرسطو.....75

ثالثا-المنطق.....78

رابعا-الميتافيزيقا.....81

1-العلل الأربعة.....84

2-الهيولى والصورة.....86.

3-الوجود بالقوة والوجود بالفعل.....88

4-الألوهية عند أرسطو.....90

خامسا-الفلسفة الطبيعية أو الفيزياء الأرسطية.....94

سادسا-النفس.....97

سابعا-نظرية المعرفة.....101

ثامنا-الأخلاق.....103

تاسعا-السياسة.....105

الفصل الرابع:

مرحلة الذبول في الفلسفة اليونانية

تمهيد.....113

1-السقراطيين الصغار.....115

1.1-المدرسة الكلبية.....115.

2.1-لمدرسة القورينائية.....117

3.1-المدرسة الميغارية..... 118

2-المذهب الرواقي.....119

1.2-المنطق ونظرية المعرفة.....119

2.2-الطبيعة عند الرواقيين.....121

3.2-الأخلاق الرواقية.....123

3-المذهب الأبيقوري.....125

1.3-قواعد المعرفة.....126

2.3-الطبيعة عند الأبيقوريين.....128

3.3-الأخلاق الأبيقورية.....129

4-الشكاك أو النزعة اللأدرية.....131

5-الأفلاطونية المحدثة.....137

الخاتمة.....140

قائمة المصادر والمراجع(البيبليوغرافيا).....142

المقدمة: من الصعب الحديث عن" البداية" لأننا في الحقيقة نكون إزاء بدايات متعددة تعدد جوانب الحضارة، من لغة ودين وفكر، وفن وسياسة، ويسبق هذه البدايات نفسها محاولات ومحاولات، وخاصة في حالة الحضارات الضاربة في ظلمات التاريخ، والتي لا تكفي الأثار و الوثائق التي تركتها لتصور هذه البدايات، و رغم وجود هذه الوثائق الا أن تفسيرها أمر صعب، بسبب فهم مغازيها، وخاصة مغازي الطقوس.

ورغم هذا إلا أنه لابد من الحديث عن البداية لأنها وحدها التي تمكننا من فهم تطور الحضارة والفكر، هذا بصفة عامة،وفيما يخص الحضارة والفكر اليونانيين، على وجه الخصوص، فان الحديث عن البدايات يهمنا كثيرا، إذ غالبا ما يرجع مؤرخي الفلسفة البدايات الأولى للفلسفة إلى طاليس باعتباره أول فيلسوف، لكن الكثير من الباحثين يردها إلى ما قبل طاليس، أي إلى الحضارات الشرقية القديمة، و حول نشأة الفلسفة، هل تعود إلى اليونان أم إلى الحضارات الشرقية القديمة؟ انقسم الباحثون إلى موقفين: الأول يؤيد النشأة في بلاد اليونان ويرى أن الفكر الشرقي لم يكن سوى فكر لاهوتي محض، و يمثله أرسطو و الفرنسي أرنست رينان، و المفكر الألماني ريتر، وزيلر، و هيجل و هوسرل زاعمين بأن الفلسفة اليونانية بمثابة معجزة، أي إبداع يوناني خالص، و مبرراتهم في ذلك هي: أنهم أول من نقل العلم من المرحلة التجريبية التي كانت الشرقيين أقرب إلى الحياة العملية إلى المرحلة النظرية، فهم أول من أدرك أن العلم يتلخص في وضع القوانين الكلية، فالمناقشة العلمية لمختلف الظواهر كانت على يدهم، فعلم الفلك في بابل ظل في مرحلة تجريبية بحتة إلى غاية القرن السادس قبل الميلاد عندما بحث الفيثاغوريون في هذا المجال، وبعدها استطاع اليونانيون أن يستنتجوا من معلوماتهم في علم الفلك نتائج كروية الأرض و دورانها حول الشمس، و لأن إلى اليونان يعود اسم الفلسفة، فهم أول من أثار مشكلات

الفلسفة و مباحثها كمشكلة أصل الوجود ومشكلة المعرفة من حيث مصدرها، و طبيعة الحقيقة و الخير و الجمال، فالعقل الإنساني بمعناه المطلق عند هؤلاء اكتشف نفسه في هذا الشعب متحررا من كل الطقوس و الأساطير التي كانت تكبله من قبل، و أن هذا التحرر يعد بمثابة "معجزة"أي شيء خارق للعادة.

وتعود الفلسفة اليونانية في نظر هؤلاء إلى أسباب سياسية واجتماعية وفكرية، وهي تمتع الإغريق بحرية لا مثيل لها سببها عدم تقييدهم بسلطان العقائد الدينية الموروثة في الشرق، فمركزية الحكم في الممالك الزراعية في الحضارات الشرقية تضع السلطة في يد ملك أو فرعون تسانده طبقة الكهنة تضفي على حكمه طابعا إلهيا، الأمر الذي يفرض عقيدة واحدة رسمية على الدولة، من الصعب على الأفراد الخروج عليها أو نقدها على نحو ما ظهر عند اليونان.

أما الثاني فقد رأى أن هناك فلسفة شرقية خاصة ترتبط بالدين أحيانا وتنفصل عنه أحيانا أخرى، ومن أبرز ممثليه "جون كولر" في كتابه" الفكر الشرقي القديم" وأغلب مفكري العرب، لقد وجد في اليونان مؤرخون ردوا الفلسفة إلى ما قبل الحضارة الإغريقية، أي الحضارات الشرقية القديمة، ف"ديوجينس اللايرتي" يتحدث في مقدمة كتابه" حياة الفلاسفة" عن بدايات التفكير الفلسفي عند الشرقيين، و عن وجود اتصال بين الحضارات الشرقية و منطقة أيونيا مهد الفلسفة الإغريقية، و الدليل على ذلك هو وجود علاقة بين رأي طاليس القائل بأن أصل الكون هو الماء وقصيدة "الخلق البابلية" أو ما تسمى بأسطورة الخلق البابلية" التي تتحدث عن بدايات الخلق، حيث كانت هناك فوضى و مزيج من الماء من "أبسو" يمثل العنصر المذكر و "تيامة" تمثل العنصر المؤنث، و من اتحادهما نشأت الكائنات و جميع الآلهة، وهذا يعني أنه كان لهم نصيب من التأمل و التفكير العقليين، لأن رد الوجود إلى الماء لم يكن

صدفة و إنما انطلاقا من ملاحظتهم الواقعية لحاجات كل الكائنات إلى الماء، الأمر الذي جعل مؤرخي الفلسفة و على رأسهم "إميل برييه" يميلون إلى القول بأن نشأة الفلسفة في بلاد اليونان في القرن السادس قبل الميلاد ليس حقيقة نهائية مؤكدة بقدر ما هو مجرد افتراض مؤقت نسلم به في البحث، لأن الوثائق الخاصة بالحضارات القديمة ليست كافية ولا هي واضحة بالقدر الذي يجعلنا نجزم أن بلاد اليونان هي مهد الفلسفة ومبدأ تاريخها وأنها أرض المعجزة، و هو يقول "إذا كنا نبدأ تاريخيا بطاليس، فليس معنى ذلك نتجاهل التاريخ القديم الذي تم فيه تكوين التفكير الفلسفي، و إنما لسبب عملي صرف هو أن الوثائق المكتوبة عن الحضارات ما بين النهرين ليست كافية و ينقصها الوضوح"

كما أنه بالرجوع إلى اليونانيين أنفسهم لا ينكرون فضل الشرقيين عليهم، فقد سجل المؤرخ هيرودوت منذ القرن5 ق م إعجابه بحضارة القدماء المصريين و اعترف بتفوقهم على أهل بلاده في كثير من الصناعات و الفنون العملية و ذكر ما أخذه فلاسفة اليونان من علوم و نظريات عن المصريين مثل خلود النفس و تناسخ الأرواح، و فن المساحة الذي كان يستخدمه المصريون في تقسيم الأراضي بعد فيضان النيل كان مصدرا لعلم الهندسة عند اليونان، و قد أشار هيرودوت إلى أن كثير من الفلاسفة اليونانيين قد زاروا مصر أمثال طاليس و فيثاغورث و ديمقريطس و أفلاطون الذي أعجب بالعلم المصري، و أكد أن اليونانيين أطفال بالقياس إلى تلك الحضارة الفرعونية العظيمة و القديمة، و أرسطو الذي يشهد بأن العلوم الرياضية نشأت في مصر.

بالإضافة إلى أن هناك شواهد كثيرة تبين أن حضارة اليونان كانت بفعل التجارة و التوسع الاستعماري، و هي عوامل ساهمت في تفاعلها مع الحضارات الشرقية التي كانت سببا في بلورة العلوم و المعارف، و هذا يعني أن الحضارة اليونانية لم تكن منعزلة عن الحضارات الشرقية، و القول بالمعجزة

اليونانية، أي اليونانيين أبدعوا دون سوابق كما يرى" فؤاد زكريا" يتنافى مع المبادئ العلمية التي تؤكد اتصال الحضارات فيما بينها و تأثيرها بعضها ببعض.

زيادة إلى ذلك أن المفاهيم الفلسفية التي يتحدث عنها اليونان مثل فكرة العدالة و النفس، ليست مفاهيم أبدعوها و أشأوها بأنفسهم، و إنما عثروا عليها في المخيلة الشعبية ثم وضعوها مقام المقولات الفلسفية، و هي المخيلة التي انتقلت من الشرق إلى اليونان.

غير أن النظرة الموضوعية و المنصفة لنشأة التفكير الفلسفي تبين الفكر الفلسفي لم يولد كاملا بل كان ثمرة جهود متواصلة من تفكير الإنسان الشرقي القديم ، فالفكر الإنساني كائن حي ينمو ويتطور باستمرار، بحيث يمكن القول أن الحضارات الشرقية القديمة البابلية والفرعونية والهندية والصينية بما تحمله من اعتقادات تمثل مرحلة الطفولة في الفكر البشري بينما الحضارة اليونانية تمثل مرحلة الشباب،و المحاولات الجادة من اليونانيين هي تطهير الفكر الشرقي من الطابع الأسطوري إلى حد ما و إكسابه الطابع العلمي و العقلي، ولما كان الإنسان حيوان ميتافيزيقي أو ماورائي كما قال "شوبنهاور" كان عليه أن يطرح تساؤلات عن أصل الأشياء الموجودة حوله وعن أسباب الظواهر المحيطة به وعن الغاية من وجوده، وعن مصيره بعد الموت، فأجاب عنها بصورة ساذجة عبر عنها في أساطير فنشأ الفكر الميثولوجي سواء في الحضارات الشرقية القديمة أو في الفكر اليوناني، لكنه أي الفكر اليوناني ارتقى إلى التفكير العقلاني، وهذا ما سنحاول توضيحه في الفصل التالي:

الفصل الأول: الإرهاصات الأولى للفكر اليوناني/من الميثوس إلى اللوغوس:

إذا سلمنا بأن منبع الفلسفة هو اليونان رغم تأثير الفكر الشرقي القديم في نشأتها، فانه سبقت نشوئها في أرض اليونان ذاتها إرهاصات وبوادر، فما هي هذه البوادر والإرهاصات؟ وكيف انتقل العقل اليوناني من التفكير الميثولوجي الأسطوري إلى التفكير العقلاني؟

1-الميثولوجيا اليونانية*: يجمع الدارسون في الشأن الفلسفي على أن الفكر اليوناني مر بمرحلتين أساسيتين: مرحلة التفكير الأسطوري أو الميثوس ومرحلة التفكير العقلاني أو اللوغوس، والأسطورة **myth** ، من الكلمة اليونانية **Mythos** تدل على القول الذي لا صلة له بالواقع، ويعتقد بعض الباحثين في اللغة أن أصلها فارسي، غير أن البعض يردها إلى اللغة العربية و يجعل اشتقاقها من الفعل "سطر" بمعنى ألف و دون الخبر العجيب، وهذا يعني أن الأسطورة تحمل سمة العجائبية، أما **اصطلاحا** فهي حكاية مقدسة تروي أحداثا خارقة للعادة تتعلق بالإلهة و الأبطال، إنها قصة خيالية تتجاوز مقتضيات العقل البشري،(1) تمثل محاولة لإشباع فضول التساؤل الناتج عن عجز الإنسان عن الفهم الحقيقي و العلمي لأسباب الظواهر، و تتلخص المرحلة الميثولوجية في جملة المعتقدات الدينية و الأساطير التي كان يؤمن بها القدماء، والتي مثلت حياتهم وبطولاتهم سجلت في مجموعة الأشعار و القصص المليئة بالخيال، و هو ما يميز الميثولوجيا اليونانية هو إلباس تلك الأساطير حلة أدبية وشعرية راقية، وشملت هذه الأساطير تفسيرات اليونان الأوائل لظواهر الكون و أسرار الآلهة منها

---

*-الميثولوجيا: العلم الذي يبحث فيما روي عن الكون والآلهة والأبطال من الأساطير، وقد يطلق هذا الاسم على الأساطير نفسها.

1-فراس السواح " **الأسطورة و التاريخ**"ج1، مكتبة عين الجامعة سوريا، عدم وجود رقم الطبعة و سنة النشر، ص 1

أسطورة"**عقب أخيلوس**" و من القصائد الشعرية نجد ملحمتي"**الإلياذة" و "الأوديسا"**

لهوميروس*Homerالذي عاش ما بين القرن 11 و القرن 10ق مو قد تحدث عن **حرب طروادة** حيث رد سببها إلى مشاحنات بين ثلاث ألهه: وهي إلهة السلطة(هيرا) و إلهة الحكمة(أثينا) و إلهة الحب والجمال(أفروديت) حول أيهن أجمل، وانتهت باختطاف "باريس" الملك الطروادي للملكة "هيلين" زوجة "مينيلاوس" ملك اسبرطة،و قد كان هذا سببا كافيا لاندلاع الحرب بين طروادة واليونان ، كما أن ملوك المدن الإغريقية أمثال أغا ممنون و مينيلاوس و أبطالها الخالدون لم تصل أخبارهم الإغريق إلا

بعد إلباسهم حلة ميثولوجية، وهذا يعني أن قيادة الفكر عند اليونان في القرن 10ق م كانت في أيدي الشعر و الشعراء، فالسيادة كانت للخيال الرائع، فقد كان هوميروس يتصور الطبيعة و الإنسان تصورا ساذجا يعبر عن تصور البدائي لها، فهو يتصور الطبيعة حية تحمل أرواحا ويؤنسن الآلهة ويستهتر بالأخلاق، فهو يقول: نهر زونتوس استشاط غضبا لأن أخيل ملأه بالجثث، وفي تأليهه للأرض، يقول: إنها ولدت الجبال و السماء المزينة بالكواكب ثم تزوجت من السماء المحيطة، فولدت أقيانوس و الأنهار، المصدر الأول للأشياء، و الآلهة كلهم في صورة بشرية، إلا أن سائلا عجيبا يجري في عروقهم يجعلهم خالدون، وهم أقوى من الأبطال و أسرع حركة يظهرون للناس أو يختفون كما يشاءون يسكنون قصورا فخمة في السماء يقضون فيها حياة ناعمة، يأكلون ويشربون و يتزاوجون، ولهم شهواتهم ورغباتهم، ويتفرقون في أحزاب و يدخلون في منازعات البشر بعضهم يؤيد اليونان والبعض الأخر

---

*-هوميروس:شاعر يوناني كبير عاش ما بين القرنين 10 و 11 ق،م و ضاع كثي من شعره و لم يبق إلا الإلياذة و الأوديسا. وقد كان يعتقد بأن شعره يمثل طفولة الفكر اليوناني. ولابد من الإشارة أنه إذا كانت الإلياذة تمثل استهتارا بالأخلاق فان الأوديسا تمثل تقديرا للفضائل، فهي تمجد الرجل الحكيم الشجاع الصبور والزوجة الوفية والابن البار والخادم الأمين.

طروادة ، يتشاءمون و يحزنون ويغضبون.**(1)** و الآلهة كانوا يعتبرون بناة المدينة و حماتها، فكان تكريمهم واجبا وطنيا، و الإلحاد في حقهم خيانة للوطن أي جريمة يعاقب عليها القانون**(2)**و في نفس النهج تقريبا سار الشاعر"هزيود"(عاش في القرن 8 ق،م) و الذي نظم ديوانين:"الأعمال و الأيام" و"أصل الآلهة" و قد سمى أرسطو هؤلاء الشعراء باللاهوتيين لمعالجتهم العلم في صورة أسطورة، الأول ملأه حكما و أمثالا تسودها فكرة العدالة، وينقسم الكتاب إلى أربعة أقسام رئيسية، الأول: عبارة عن درس أخلاقي في العمل و حث عليه، يتخلل ذلك حكم متنوعة، والثاني نصائح في الزراعة، تليها إرشادات في الملاحة، و الثالث مجموعة من الوصايا في الزواج و العلاقات الاجتماعية و الشعائر الدينية، والربع تقويم يدل على أيام السعد و أيام النحس، و يحوي على كثير من الخرافات الشعبية، و الذي يهمن هو أقواله في العدالة ، فمثلا يقول في العدالة عن الآلهة "السمك و الوحش يفترس بعضها بعضا لأن العدالة معدومة بينها، أما الناس فقد منحهم "تزوس" العدالة و هي خير و أبقى" و "أن للملوك أكلي الهدايا عدالة ملتوية أما تزوس فأحكامه قويمة" أما كتاب أصل الآلهة يرى البعض العلماء أنه منحول و أنه متأخر في عهده بقرن أو يزيد و هو على الطريقة التعليمية، حاول فيه الشاعر أن يؤلف مجموعة معقولة من الأساطير و المعارف القديمة، و فيه التضرع لألهه الشعر و كيفية خلق الموجودات، و غيرها من الأشياء.

1-يوسف كرم "**تاريخ الفلسفة اليونانية**" مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، 2014 ص15،16.

2-يوسف كرم "**تاريخ الفلسفة اليونانية، كلاسيكيات الفلسفة**" تقديم وشرح وتعليق مصطفى النشار، الدر العربية للكتاب 2019، ص32.

و لكن رغم ولاء اليونانيين الشديد للآلهة إلا أنهم لم يجدوا في ذلك سبيلا للتخلص من حياة البؤس و الشقاء، فراحوا يبحثون عن طرق أخرى تقربهم أكثر من الآلهة و تخلصهم من المعاناة التي كانوا يعيشونها، فوجدوا ذلك في الديانات الشرقية القديمة التي كانت تعد بالخلود و الخلاص و بحياة النعيم و الاتحاد مع الآلهة و المشاركة في السعادة معها غذاء لهذه النزعة الروحية، فنشأت نحل سرية تعلل مريديها بالنجاة من مصائب هذه الحياة وبالسعادة في الأخرى، و كانت هذه الديانات سرية لا يعرف تعاليمها إلا الذين ينتمون إليها(1)وكانت مليئة بالمبادئ الأخلاقية و الدعوة إلى التطهير و اعتبار الجسد سجن للنفس يمنعها من ممارسة حرياتها في المعرفة و الاتحاد لذلك كان لابد من التخلص من مطالبه، فهو سبب المعاناة والشقاء، ومن أشهر المذاهب الدينية:

1.1-النحلة الأورفية Orphisme: ترتبط بالشاعر والواعظ الديني أورفيوس، وهو أشهر موسيقار عرفته الميثولوجيا اليونانية، يستطيع تحريك الحجر بموسيقاه، والحيوانات تغني معه حين يعزف، و هو المعلم النبي الذي يعرف أسرار الآلهة و طبيعتها، و تعتقد الأورفية أن الإنسان مكون من عنصرين متعارضين: العنصر الطيطاني *les Titans و هو مبدأ الشر، وعنصر الخير يمثله ديونيسوس*(اله

1-يوسف كرم، المرجع نفسه، ص32.

*-التيتان(الطيطان) les Titans: هم عمالقة و عملاقات آلهة بدائية، التي سبقت ألهه أوليمبوس، كانوا أبناء و بنات أورانوس و غاية، و أورانوس هو أحد الآلهة الإغريقية(اله السماء) و هو أول زوج لغايا ربة الأرض و هو ابنها،، و أورانوس و غايا هما أجداد معظم الآلهة.

*-يقول الأورفيون أن الاله زيوس وهب ابنه ديونيسوس من ابنته برسفوني السلطان على العالم، فغارت منه هيرا زوجته، و ألبت عليه طائفة التيتان فكان ديونيسوس يتحول إلى صور مختلفة و يردهم إلى آن تمكنوا منه فأمسكوه و قتلوه و قطعوه اربأ إربا،و أكلوه إلا أن الآلهة استطاعت آن تختطف قلبه فبعث من هذا القلب ديونيسوس جديد.(من كتاب النحلة الأورفية، أصولها و أثارها في العالم اليوناني، ص 129)

الخمر والعربدة والنبيذ) و أن الجسد بمثابة سجن للنفس، لذلك وجب على الإنسان أن يتطهر من الشر الكامن في داخله عبر التناسخ، الذي يتدرج بالنفس إلى أعلى مراتب الصفاء و الاتحاد، وهو ما يستلزم ولادات متعددة، فحياة أرضية واحدة لا تكفي، وهي ترى أن وجود النفس في الجسم عبارة عن عقاب لخطيئة سابقة في حياة أخرى أو للخطيئة الأصلية للنوع البشري أو تذوق التيتان les Titans للحم ديونيسوس، و أصولها مستمدة من الشرق(المصريين، الهنود) وهي ترى أن بقاء النفس في الجسم بمثابة تكفير عن خطيئتها، وهنا المطلوب من النفس في حياة ما قبل الموت أن تقوم بواجبات إضافية إلى جانب حياة الزهد، بإتباع طقوس تحت إشراف رجال الدين الأورفيين، و قد اكتشفت مقابر في ايطاليا الجنوبية وجدت بها صفائح ذهبية عليها إرشادات للنفس و ما يجب أن تسلك بعد الموت من طرق و ما تتلو من صلوات، وكانت هذه الصفائح دليلا قاطعا على أنهم عرفوا كتاب الموتى عند المصريين و أحذوا منه، كما أنهم اخذوا فكرة الولادات المتعاقبة عن الهنود أو الفرس.(1)

2.1-ديانة الوسيس: من أشهر الديانات القديمة عند اليونانيين، كان يعبد أصحابها إلهة العمل أو الأرض ديمتر Demeterوهي ترمز للخصوبة،و قد كانت من قبل إلهة الحرب عند هوميروس، و كما كانت الوسيس مدينة مستقلة ثم دخلت تحت سيطرة أثينا في القرن السابع قبل الميلاد، أي في الوقت الذي صار فيه الإقبال على معبد الآلهة، وما أن جاء القرن الخامس حتى كانت هذه النحلة قد غزت العالم فصارت المدينة طوال العصر القديم قبلة يتجه إليها الزوار اليونانيين و الرومانيين، بل و

1-محمد فتحي عبد الله "**النحلة الأورفية، أصولها وأثارها في العالم اليوناني**" النسخة الالكترونية www.pdffactory.comص 129،128.

إليها بعض أباطرة روما(1)و كان اليونانيون يقيمون طقوسا كبيرة لهذه الديانة تضمنت الأسرار الصغيرة في الربيع و الأسرار الكبيرة في الخريف، يقام خلالها مشهد مسرحي شعائري يتقاسم فيها الأتباع الأفراح و المخاوف، حيث يقطع ثور و يؤكل لحمه نيئا مع تلاوة عبارات مبهمة يرقصون و يصيحون على صوت موسيقى صاخبة و الغاية هي تحقيق الانجذاب أو الاتحاد بالآلهة و الاتصال بديانة العمل أو الأرض و بلوغ الخصوبة في الحقول و الخلود في القبور.

2-الحكماء السبع: يمثل هؤلاء مرحلة متوسطة بين هزيود(8 ق م) و بين ظهور الفلسفة والعلم الطبيعي على أيدي الفلاسفة الطبيعيين الأوائل، فهم مهتمون مثل هزيود بقواعد السلوك الأخلاقي، وبعضهم شعراء مثل هزيود و أغلبهم من رجال السياسة، اشتغلوا بصياغة قوانين لمدنهم، واستطاعوا تلخيص نصائح لمواطنيهم على شكل حكم صغيرة يسهل حفظها و يساعد قصرها على استمرار التأمل حولها، ولكنهم لا يبررونها بأدلة عقلية، و ما يجدر بالملاحظة أن أول الفلاسفة المالطيين هو طاليس، يعد أيضا ضمن الحكماء السبعة، فهو حلقة اتصال بين مرحلة في الفكر اليوناني نرتكز على إرساء قواعد السلوك في المدينة و مرحلة انطلق فيها ليستكشف أصل الكون.، و ربما كان طاليس ممن اشتغلوا بالسياسة في مدينته و وضع حكمه فيها، لهذا أدخل في عداد الحكماء السبعة، و أقوالهم كانت معروفة على مستوى كل المدن اليونانية، وهم بهذا رمز للوحدة الثقافية، و من الحكماء السبع: طاليس من مالطية، وتياكوس من ميتيلين، وبياس من بريين، وسولون(640-559ق م) من أثينا، و كان سولون أشهرهم جميعا، أشتهر بأنه واضع دساتير أثينا، والذي أنقذها من الاضطرابات الداخلية بين

1-يوسف كرم المرجع نفسه "**تاريخ الفلسفة اليونانية، كلاسيكيات الفلسفة**"، ص33.

الطبقات، كما كان شاعرا، والحكم التي تنسب إليهم تعكس ملامح انتقال بين الحكم الإقطاعي و حكم تزداد فيه أهمية الفرد، وبين عصر كانت فيه السيطرة للديانات إلى حد ما، وعصر يزداد فيه جهد الفرد لتحديد سلوكه، وهي لا إفراط و لا تفريط، لا تجلس على مقعد القاضي و إلا كرهك من ستدينهم، ابتعد عن اللذة التي تنجب الحزن، حافظ أشد محافظة على الأمانة في سلوكك فهي أهم حتى من الوعد، لا تكذب و قل الحق، لا تصاحب أهل السوء، ارع والديك، حينما تعرف كيف تطيع ستعرف كيف تأمر، لا تنصح مواطنيك بما هو ألذ بل بما هو أفضل، لا تصاحب أهل السوء، ارع و الديك، فليكن العقل قائدك، لا تقل كل ما رأته عيناك، اصمت مهما تكن معرفتك، كن حليما مع ذويك....الخ**(1)**

لكن صحة نسب هذه الحكم المأثورة إلى الحكماء السبع ليست مؤكدة، فربما لعب خيال الأجيال المتأخرة كثيرا و نسب إليهم ما لم يقولوا به، ومهما يكن فان هذه الحكم تعبر في النهاية عن جهد جماعي للمجتمع اليوناني، و إن كان للحكماء السبع نصيب مما يقولونه، إلا أنهم كانوا متأثرين بالشاعر هزيود، الذي تتضمن أشعاره كثيرا مما صاغوه صياغة جديدة، كما أنهم متأثرون بالبيئة الثقافية التي يعيشون فيها، و يقول أفلاطون أنهم أهدوا حكمهم إلى معبد الإله أبولون بدلفي، و على رأسهم حكمتان ستؤثران كثيرا على قواعد السلوك، هما: "لا إفراط و لا تفريط"، و "أعرف نفسك بنفسك"**(2)**

غير أنه في القرن 6ق م، حدث في اليونان انقلاب جذري كان له أثر في جميع نواحي الحياة، فقد امتد سلطان اليونانيون على الدول المجاورة، اتسعت أملاكهم، فهاجروا إلى المستعمرات الجديدة وتعرفوا

1-عزت قرني "**الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون**" دار الطبع ذات السلاسل، جامعة الكويت، الطبعة الأولى 1993، ص ص17-19.

2- يوسف كرم، المرجع نفسه" **تاريخ الفلسفة اليونانية**" ص19،20.

على شعوب جديدة عاداتهم و أخلاقهم، خاصة بعد انتصار اليونان على الفرس في القرن الخامس قبل الميلاد، و صاحب هذا تطور اقتصادي وظهور نظام اقتصادي جديد يتمثل في النظام النقدي الذي أستبدل بنظام المقايضة(عامل اقتصادي) و صاحب ذلك انقلاب سياسي و اجتماعي ، فالتطور الاقتصادي أدى إلى ظهور طبقة جديدة تنافس النبلاء الذين ورثوا ثرواتهم عن أملاكهم، في صراع مع الطبقة الحاكمة (النبلاء) انتهت بسيادة الطبقة الجديدة و انتصرت الديمقراطية التي حققت في أثينا الأمل مرة في التاريخ ،فانتقل النظام السياسي من حكم النبلاء إلى الحكم الديمقراطي، فتحققت الحرية للشعب التي ناضل من أجلها قرونا طويلة، الحرية بالمفهوم السياسي(عامل سياسي)، و هي حرية مرتبطة بمفهوم جوهري أخر و هو مفهوم "دولة المدينة"، فكل مدينة مع منطقة زراعية محيطة بها تشكل كيان سياسي، تشكل دولة وتحكم نفسها بنفسها، لأن عدد أفرادها كان ضئيلا، يساعدهم في الاشتراك لإدارة المدينة، و هنا دخلت المدن اليونانية في طور الديمقراطية ابتداء من القرن السادس قبل الميلاد في أيونيا، و الحرية بالمفهوم العقلي،حيث ظهرت الشخصية الفردية في الشعر و في السياسة، فأصبح الشعراء يكتبون قصائد للتنفيس عن مشاعرهم المكبوتة وانفعالاتهم، بعدما كانوا غير قادرين على ذلك، وقد أدى هذا إلى ظهور شعر جديد هو الشعر الغنائي الذي هو أشد اتصالا بالنفس، أضيف إلى شعر الملاحم، وفي المجال الديني، أصبح الفرد يتصل مباشرة بالإله، حيث أزيحت كل وساطة بين الفرد و الآلهة، و قد ساعدهم في ذلك احتكاكهم مع الشعوب الأخرى من خلال حركة التجارة بسبب موقع أيونيا على امتداد الساحل الغربي لشبه جزيرة أسيا الصغرى(عامل طبيعي) إضافة إلى عوامل أخرى و هي ظهور الكتابة تحت تأثير الفينيقيين و انتشارها خاصة في أول القرن الخامس، مما سهل تداول المكتوب و إخصاب الفكر و إثارة مشاكل جديدة، إضافة إلى سهولة اللغة اليونانية و دقتها، و حب اليونانيين

للكلام(1) هذا التحول السياسي و الاجتماعي والاقتصادي و الفني والديني، الذي كان سببا في ظهور الشخصية الفردية أدى إلى انتقال الإنسان من رواية الأساطير وقص القصص إلى التفكير و العلم ، فلم يعد الإنسان يقدس الكون و ظواهره بل أصبح يبحث عن عللها و أسبابها، و هنا ظهر التفكير الفلسفي و ذلك في القرن 6ق،م القائم على التفسير العقلاني للظواهر، و قد توجه العقل اليوناني إلى البحث عن العلل الأولى التي تقف خلف الظواهر و الكشف عن القوانين المتحكمة فيها، بمعنى في هذه المرحلة اتجه الفكر اليوناني نحو **اللوغوس(التفسير العقلاني المنطقي للظواهر)**(2)من الدين إلى الفلسفة .

لابد من الإشارة إلى أن الفلسفة اليونانية تناولت مباحث عديدة وهي: **مبحث الوجود(الانطولوجيا) و مبحث الميتافيزيقا، مبحث المعرفة(الايبستمولوجيا) و مبحث القيم (الأكسيولوجيا): القيم الأخلاقية و الجمالية و المنطقية.**

3-مراحل الفلسفة اليونانية: مرت الفلسفة اليونانية بثلاثة أطوار: **طور النشأة، وطور النضج**، و **طور الذبول**، الطور الأول يقسم إلى فترتين: فترة ما قبل سقراط (الفلاسفة الطبيعيين) وتمتاز باتحاد العلم الطبيعي بالفلسفة وفترة السفسطائيين وسقراط، وتمتاز بتوجه الفلسفة بالاهتمام بقضايا المعرفة والأخلاق، والطور الثاني يمثله أفلاطون وأرسطو، والطور الثالث يمتاز بتجديد المذاهب القديمة و بالعودة إلى

1-عزت قرني، المرجع نفسه، ص ص10-12.

2-أحمد أمين، زكي نجيب محمود «**قصة الفلسفة اليونانية**" مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية 1935.ص ص 3-6.

الأخلاق والتأثر بالشرق، والميل إلى التصوف مع الاهتمام بالعلوم الواقعية. **(2)**

2-يوسف كرم، المرجع نفسه" **تاريخ الفلسفة اليونانية**" ص19،20.

الفصل الثاني: مرحلة النشأة في الفلسفة اليونانية

في الفترة الأولى و هي مرحلة قبل سقراط تمتاز بالاهتمام بالقضايا الطبيعية أي بالحث عن أصل الكون ، لهذا تسمى بالكسمولوجيا اليونانية، و ذلك مع طاليس و أنكسيمندريس أنكسيمانس و هيراقليدس ، نشأ الثلاثة الأوائل في مالطية و نشأ الرابع في أفسوس و هما في مقدمة المدن الأيونية عمرانا وثقافة و هؤلاء الفلاسفة يسموا بالطبيعيين الأوائل و مع الطبيعيين المتأخرين أمثال أنباذوقليس، ديموقريطس، أنكساغوراس، يجمعهم اتجاه و احد في الفلسفة و هو الاتجاه المادي، أي يفسرون الوجود تفسيرا علميا برده إلى المادة «المادة الأولية" و الاهتمام بالقضايا الميتافيزيقية وذلك مع المدرسة الايلية* القائلة بالوجود الثابت والتي من روادها بارمنيدس، أكسانوفان، زينون الايلي ومليسوس وبالقضايا الرياضية، وهي تمتد من القرن 6ق م إلى منتصف القرن 5 ق م، بينما الوجهة الرياضية أخذ بها فيتاغورس(ايطاليا الجنوبية)(1)، وسنبدأ ب:

***-فترة ما قبل سقراط:**

1-الفلاسفة الطبيعيون الأوائل أو المدرسة الطبيعية الأولى: يجمع أغلب مؤرخي الفلسفة على أن طاليس الفيلسوف الأول لأنه أول من قام بمحاولة علمية قائمة على مبادئ طبيعية لشرح الكون دون عون من الأساطير والآلهة المصطبغة بصبغة إنسانية. وأن ظهوره يرتبط بتنبؤه بكسوف الشمس الذي

---

*-المدرسة الايلية:نسبة إلى إيليا مدينة تقع الشاطئ الغربي في ايطاليا الجنوبية، بناها الأيونيون الهاربون من الفرس حوالي 540ق م.

1-يوسف كرم ، المرجع نفسه ص18،19.

وقع سنة 28ماي 585 ق م.(1)

أولا-طاليس(624-546ق م):يمثل المدرسة الطبيعية الأولى **التي** ظهرت في **مالطية** و سميت بالمدرسة المالطية نسبة لكونها ظهرت في مالطية، وسميت بالمدرسة الأيونية نسبة إلى مدينة **أيونيا في ساحل أسيا الصغرى**، يعد طاليس فيلسوفا و رياضيا و فلكيا، زار مصر و درس علم المساحة على يد علمائها، و أخذ علم الفلك عن البابليين، هذا الاحتكاك بالثقافات الشرقية حسب اعتقاد بعض الباحثين ولد فيه روحا علمية أبعدته عن ميثولوجيا عصره، وجعلت منه أول الفلاسفة و أول الفلكيين و الرياضيين* في بلاد أيونيا.(2) وقد اعتبره هيرودوت فينيقيا، و هو يرى أن أصل الكون هو الماء فهو المادة الأولى التي تتكون منها الأشياء، لأن الحياة تدور وجودا وعدما مع الماء، فحيثما وجد الماء وجدت الحياة و حيثما انعدم الماء انعدمت الحياة، بمعنى الماء كمادة حيوية نجدها في كل الموجودات على اختلافها، فتجمد الماء يؤدي إلى نشأة الأجسام الصلبة، و عملية التبخر تحول الماء إلى هواء، الذي يتحول هو الأخر إلى نار، و الحياة لا تخرج عن ثلاث: السائل و الصلب و الغاز، و من هذا المنطلق يكون الماء هو الأساس في العناصر الطبيعية الأربعة: الماء، التراب، الهواء، النار، و يبرر

1-عبد الجليل كاظم الولي «**الفلسفة اليونانية**" مكتبة غريب طوس، الطبعة الأولى 2009 ص55.

أسيا الصغرى: منطقة جغرافية وتاريخية قريبة من شرق أوروبا تشكل شبه جزيرة جبلية في غرب أسيا، و هي محصورة بين البحر الأبيض المتوسط و البحر الأسود، تشمل جل الأراضي التركية.

*-ما ينسب إلى طاليس من حقائق رياضية: قسم الدائرة يقسم إلى قسمين متساويين، و أن زاويتي المثلث المتساوي الساقين متساويتان وغيرها من الحقائق، تبدو أن أصولها البابلية والمصرية فاستقاها من منهجهم في البحث و أضاف إليه.من كتاب فلاسفة يونانيون من طاليس إلى سقراط ص36.

1-جعفر أل ياسين "**فلاسفة يونانيون من طاليس إلى سقراط**" دار مكتبة البصائر، بيروت .، لبنان ط1 2012ص 35،36.

أرسطو رأي طاليس بأن النبات والحيوان يتغذيا من الرطوبة و مبدأ الرطوبة الماء، ثم أن النبات و الحيوان يولد من الرطوبة بل أن التراب تكون من الماء، و الأرض خرجت من الماء فصارت قرصا طافيا على وجهه كجزيرة كبرى فوق بحر كبير، ويذكر أرسطو قولا له "العالم مملوء بالآلهة" أو بالأنفس.**(1)** غير أن هذا القول لا صلة له بأية نزعة دينية ثيولوجية عند طاليس لأن المادة كانت تتسم عند القدماء بالحياة أو لها نفسا، و الذي يؤكد هذا هو ما ورد عن أرسطو في كتاب "النفس" و هو أن طاليس رأى أن للحجر المغناطيسي نفسا لأنه يجذب الحديد، بمعنى مبدأ الحركة في الأشياء هو النفس، لهذا وصف مذهبه بالنزعة الحيوية Hylozoïsme وهي نزعة سادت مذاهب القدماء في المادة.**(2)**إن أهمية طاليس الفلسفية تكمن في قوله **بالأحادية** بإرجاع الوجود إلى عنصر واحد هو الماء دون الاعتماد على أساطير عصره، بل اعتمد على التأمل العقلي والحدسي وهما خطوة تقدمية نحو العلم، و سبب تفسيره للكون بالماء ربما قصة الطوفان كان لها تأثيرا في تفكيره حيث عادت الحياة إلى الأرض و كأنها نمت من الماء من جديد**(3)**إضافة إلى اعتنائه بظاهرة فيضان النيل عند الفراعنة، والذين كانوا يفسرونها سر الحياة و مصدر الخير و الثراء.

ثانيا-أنكسمندريس(610-545ق م): معاصر لطاليس، ينتمي إلى عائلة معروفة في مالطية، تميز تفكيره بالدقة و الشمول، وأشتهر بمعرفة واسعة بالفلك والجغرافيا، و أول مدون للفلسفة بأسلوب شعري، وينسب إليه أو ل خارطة للعالم، جعل فيها اليونان في المركز تحيطها أجزاء من أسيا و أوروبا، ثم

1-يوسف كرم ، المرجع نفسه "**تاريخ الفلسفة اليونانية**" ص.27

2-أميرة حلمي مطر "**الفلسفة اليونانية، تاريخها، مشكلاتها**" دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، أحمد غريب، 1998، ص.51

3- جعفر أل ياسين ، المرجع نفسه ، ص 37.

يحتضنها المحيط الواسع. رفض وجهة نظر طاليس القائلة بأن الماء أصل الأشياء، و أيده في فكرة المادة الواحدة، و هو يرد المبدأ الأول لكل الموجودات إلى **الأبيرون (اللامتناهي، اللامحدود)**،لكن ما هو هذا الأبيرون وما هي مميزاته؟ هل هو محدد كما وكيفا؟ الفكرة تحمل معنيين: الأول: الأبيرون غير معين، فهو لا هذا العنصر الطبيعي و لا ذاك، فليس هو الماء و لا التراب و لا النار. ثانيا: من حيث الكم الأبيرون غير محدد ماديا، و قد شرح أنكسيماندريس هذا الأبيرون في كتابه "الطبيعة" الذي فقد و لم يبق منه إلا شذرات قليلة ذكرها أرسطو، غير آن تلك الشذرات لم تزيل الغموض، ولعل السبب في ذلك أنه مات قبل أن يوضح توضيحا مقنعا لفلسفته، يرجح تلميذه أنكسيمانس أنه كان يقصد الهواء بينما شراح أرسطو و على رأسهم الاسكندر الأفروديسي، قالوا أن المقصود به **الهواء والماء. (1) لكن** كيف نشأت الموجودات عن الأبيرون؟ يرى أن العالم تشكل وفق ثلاث مراحل، **في المرحلة الأولى:** حالة وجود الأبيرون الأولى و هو متجانس لانهائي الكم والكيف، في المرحلة الثانية: تكوين العناصر الأربعة وسيادة قانون العدالة على عملية التكوين، ويعني ذلك أن كل عنصر له مقداره المحدد، **المرحلة الثالثة:** تكوين العوالم (لأنه يرى أن هناك عدة عوالم ونحن نعيش في عالم من هذه العوالم)والكائنات من العناصر الأربعة، من المادة اللانهائية حدثت عملية غامضة انفصل عنها الحار والبارد ، وتصاعد البخار بفعل الحار كون الهواء، ومن هذه البرودة والرطوبة تصبح الأرض في مركز الكون، و الأرض كانت في الأصل سائلة و حرارة محيط الأرض جعلت مياه الأرض تتبخر على نحو مطرد نتج عنه تكوين الغلاف الجوي الذي يحيط بالأرض.(2)كيف تكونت الحياة على ظهر الأرض؟ لأنكسيماندريس

1-عزت القرني، المرجع نفسه، ص.86

2-عبد الجليل كاظم الولي المرجع نفسه، ص59،60.

نظرية في الحياة ، فهو يرى أن كل الحياة تبدأ في البحر، حيث كانت جميع الكائنات الحية تعيش في قواقع ضخمة داخل الماء، أي كانت أشبه بالأسماك، غير أن الشمس جففت هذه القواقع و خرج منها الإنسان إلى الأرض الصلبة، فأصل الإنسان إذن سمكة تحولت من العيش داخل الماء إلى مناطق الأرض الجافة وعن طريق التكيف أصبحت زعانفها أطرافا، هذا المفهوم التحولي للحياة هو تفسير عقلاني علمي و طبيعي غير أسطوري، فهو يدخل عناصر البحر و الحياة وتأثير الشمس و الماء و تأثير البيئة في تغيير الشكل، فالإنسان تحول من سمكة إلى إنسان تحت ضغط جفاف قسم من البحر و دفعه إلى الحياة على الأرض، ربما أخذ هذا التفسير عن السوريين، الذين كانوا يبجلون السمك باعتباره من أصل مشابه للإنسان.**(1)** و بهذا يكون "أنكسيماندريس" أول فيلسوف قال بالتطور، سبق "داروين" و "لامارك" بمئات السنين.

ثالثا-أنكسيمانس(558-524ق م): ثالث فلاسفة المدرسة المالطية، وهو يرى أن أصل الأشياء أو الكون هو **الهواء**، لأنه ينتشر في كل العالم، و لأن نفس الإنسان من الهواء، فهو مبدأ الوحدة في كل منا، كذلك فان النفس أو الهواء يحوي العالم كله و يجعل منه وحدة وقد جاء بمفهومين: التكاثف والتخلخل، فالهواء إذا تكاثف تحول إلى برودة و تخلخله يؤدي إلى الحرارة، فالهواء إذا تخلخل تحول إلى نار و إذا تكاثف صار ماء و إذا تكاثف الماء أكثر تحول إلى تراب و إن زاد تكاثفه صار صخرا، و الأرض تطفو على الهواء كدائرة مسطحة، و يفصلها الهواء عن السماء، قال بعد لانهائي من العوالم. وسبب تفسيره هذا هو نزعته الحيوية التي تعتبر الكون كائنا حيا يتنفس بالهواء، لذلك فهو يوحد

1-عزت قرني، المرجع نفسه، ص87.

النفس والهواء. (1)

رابعا-هيراقليطس Heracleitus(535-470 ق.م): كان من مدينة أفسوس، التي وقعت بدورها كباقي مدن أيونيا تحت سيطرة الفرس، لذلك فهو أيوني، عرف كتابات الأيونيين، كان ينتمي إلى الطبقة الأرستقراطية ، لذلك كان عداؤه لنظام حكم الطغاة و للنظام الديمقراطي على وجه الخصوص، كان محتقرا للعامة متكبرا، متعاليا، وكان محتقرا حتى لبعض المفكرين والشعراء السابقين عليه(هوميروس، هزيود) فقد سبق أفلاطون في الهجوم على هوميروس، لأنه كان يرى أن كثرة المعارف أو الحفظ ليس حكمة، وقد كان عصره عصر حرب دائمة بين الفرس و اليونان، ترك كتاب "في الطبيعة"، ومن خصائص المنهج الفلسفي عنده هو الاعتماد على العقل، وهو مشترك بين جميع الناس، فالحكمة عنده رغم اشتراطه للمعارف الكثيرة هي إعمال العقل للوصول إلى اللوغوس، و اللوغوس يعنى المقياس أو القانون العام الذي يتحكم في الظواهر كوحدة، و الطريق إلى ذلك ليس إتباع الشعراء و الديانة التقليدية التي تدعو إلى عبادة الأحجار والتماثيل ولا الديانة الأورفية، فهذه الطرق كلها تجعل تابعيها يفقدون عقولهم و كأن الجنون أصابهم أو الهذيان، على حين الحكمة تستدعي الاحتفاظ بالعقل في حالة يقظة دائمة.(2)و في تفسيره لأصل الكون، يرى أن العالم واحد لم يخلقه اله و لا بشر، وهو موجود منذ الأزل، ويبقى إلى الأبد نار حية تشتعل، يعود في نشأته إلى مادة تتضمن الخلق و الحياة هي النار،

1-أميرة حلمي مطر، المرجع نفسه، ص.55

2-عزت قرني، المرجع نفسه، ص ص 37-39.

و طبيعة هذه النار محسوسة حسب اعتقاد بعض الباحثين الذين اعتمدوا على القدماء وخاصة أرسطو الذي أدرج هيراقليطس ضمن القائلين بالعناصر المادية للكون، غير أن القول بالطبيعة المحسوسة للنار لا ينفي التصور الميتافيزيقي لها، لأن النار المحسوسة كمبدأ للوجود المادي هي من جهة أخرى مبدأ روحاني ميتافيزيقي، لأنها تمثل اللوغوس أو القانون الثابت، و لأنها رمز للتغير الدائم،(1) "هذه النار تشتعل بحساب(بمقياس، نسبة) و تخبو(تسكن، يخمد لهبها) بحساب" و من النار تظهر العناصر الأخرى، و والصور التي تتحول إليها النار هي: أولا البحر، ثم يتحول نصف البحر أرضا و نصفه الأخر يتحول بواسطة ظاهرة البرستير prester (أعاصير أو ينابيع، انفجار مصحوب باللهب) إلى هواء و نار، فتكون العناصر الأربعة: النار، الماء، الأرض، الهواء.، ويصف تحولات النار بطريقتين: طريق تصاعدي(نحو الأعلى) و طريق تنازلي(نحو الأسفل)، في الطريق التنازلي، تثقل النار فتصبح ماء و جزء من الماء يصير أرضا، أما بالطريق التنازلي، بخار من الماء و الأرض يتصاعد فيصبح سحبا ثم تشتعل هذه السحب فتصبح النار، وذلك بواسطة ظاهرة برستير.(2) فكل الأشياء تخرج من النار وتعود إليها، وهو يقول" النار تحيا بموت الأرض، والهواء يحيا بموت النار، والماء يحيا بموت الهواء، و الأرض تحيا بموت الماء" فهناك تبادل بين النار و بين جميع الأشياء كالتبادل بين والذهب و السلع، و هذا يعني أن هناك فكرة رئيسية في فلسفة هيراقليطس هي **أن الصراع أساس الوجود** و هو صراع بين الأضداد**(مبدأ صراع الأضداد)** فالعالم مكون من أضداد، العدل، الظلم مرض الصحة ،

1-أميرة حلمي مطر، المرجع نفسه، ص63.

2-المرجع نفسه، ص64،63.

التعب والراحة، الخير والشر، الشبع والجوع، فالمرض هو الذي يجعل الصحة ممتعة، و الشر هو الذي ينتج الخير، و الجوع هو الذي يرغب في الأكل، و العدل هو الذي يجعل للعدل معنى فالصراع هو الذي يسمح للعالم بالوجود والاستمرار و هو يقول "لو لم يوجد الظلم لكنا نجهل حتى العدل"، و هكذا رغم وجود الأضداد إلا بينها وحدة، أو **ما يعرف بوحدة الأضداد و انسجامها** و الفكرة الرئيسية الثانية في فلسفته هي **فكرة التغير الدائم(مبدأ السيرورة)**المرتبطة بفكرة الصراع بين الأضداد "الأشياء الباردة تصير حارة و الحارة تصير باردة، ويجف الرطب و يصبح الجاف رطبا" وهو يقول "انك لا تستطيع أن تنزل النهر مرتين لأن مياهه تتغير باستمرار" و في نظرية المعرفة يرفض المعرفة العامية لأنها تقتصر على الجزئيات و لا ترقى إلى مستوى القانون العام، فالعامة لا يفهمون حقيقة الكون، فالمعرفة تتم بإعمال العقل و نشاط الحواس.

لابد من الإشارة إلى أن هيراقليطس أول من استخدم مصطلح اليوناني Kosmos للدلالة على العالم وهذه الكلمة تتضمن معنى النظام، و هذا يدل على أن هيراقليدس نظر إلى العالم كوحدة حقيقية و هو بهذا يتقدم على الفلاسفة الثلاثة الذين سبقوه الذين لم يرتقوا بتفكيرهم إلى هذا التصور العام للكون. **(1)** كما كان لفكرة صراع الأضداد و التغير الدائم في الوجود أثر في فلسفة هيجل و الفلسفة الماركسية، فهول أول من عارض منطق الثبات الصوري بمنطق الحركة الديالكتيكية المطابقة لحركة الواقع و قد المادية للوجود و أن هذه المادية تميزت بأنها مادية جدلية، و أنها أكثر تقدما من مادية القرن 18 التي رأى انجلز في كتابه "جدل الطبيعة" أنه ابتداء من طاليس إلى هيراقليطس تبنى فلاسفة الإغريق النظرة

1-عزت قرني، المرجع نفسه "**الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون**" ص ص44-48.

كانت مادية ألية.(1)

2– الفلسفة الفيثاغورية: الفيتاغوريونThe pythagoreans نسبة الى فيتاغورث الذي ولد ما بين580 و570ق م في جزيرة ساموس، وقد عرج على مصر و بلاد الشرق وطاف أرجائها، قبل أن يستقر في "كروتونا" Crotona في بجنوب ايطاليا، وقد أسس بها جمعية دينية أخلاقية اجتماعية وسياسية، تدعو إلى الإصلاح الديني و مكارم الأخلاق وتدعو إلى التقشف و تطهير النفس من الدنس، لأن الجسم قيد سجنت فيه الروح، فينبغي تحطيم قيوده ما استطعنا منه، و كانت هذه الجمعية ذات نزعة صوفية غامضة، وذات نزعة علمية حيث ابتكروا في جميع ميادين العلوم، في الرياضيات في الموسيقى في علم الفلك، في الطب، تأثرت هذه الطائفة الفيثاغورية **بالأورفية** نسبة إلى **أورفيوس** Orpheus*وهو شاعر قديم، قيل فيما روي عنه انه استطاع أن يحرك الجماد بقوة أشعاره وسحر غنائه، حيث استمدوا منه كثيرا من الموسيقى و أصولها كما أخذوا عنه القول بتناسخ الأرواح من بدن إلى بدن و من إنسان إلى إنسان ومن إنسان إلى حيوان، و ساروا على نهجه في الزهد و التقشف، لكن الفيثاغوريون سلكوا سبيلا أخر لتطهير النفس و هو التفكير الفلسفي **و**العلمي لأنهما مظهران للنشاط العقلي والروحي، و الاشتغال بهما يؤدي إلى إهمال الجسد ولذائذه، ومن هنا أخذت تلك الجمعية الدينية الصبغة الفلسفية، فكان لهم رأيا في أصل الكون، يعبر عن انتقالهم من المادية الأيونية إلى محاولة

1–أميرة مطر حلمي، المرجع نفسه، ص 67،68.

*–الديانة الأورفية: نسبة إلى أورفيوس الشاعر الذي يستطيع استئناس الوحوش الضارية في هذا العالم و القوى المخيفة في العالم الأخر و هو المعلم النبي الذي يعرف الأسرار مثل أصل الآلهة وطبيعتها و الطريق الذي ينبغي أن يسلكه الناس في الدنيا وفي الآخرة.

التفكير الفلسفي المجرد فيما وراء الطبيعة و ظواهرها.(1) و يروى عن فيتاغورث أن هو الذي استعمل لفظ الفلسفة وتعني محبة الحكمة، و رفض أن يسمي نفسه "الحكيم" Sophos لأن الحكمة تنسب إلى الآلهة و هو يقول"أنا لست حكيما بل محبا للحكمة أي فيلسوفا" و هو يرى أن العدد أصل الوجود، لأن كل شيء جسماني أو غير جسماني له صفة العدد، و لا يتميز الشيء عن الشيء إلا بالعدد، و لما كانت الأعداد كلها متفرعة عن الواحد مهما بلغت من كثرة فهي واحد متكرر كان الواحد أصل الكون، فلو تأملت الأشياء لوجدتها تتميز عن بعضها البعض بصفات معينة، فالوردة لها صفات تعرف بها و للنار صفات و للبرتقال صفات، لكن هذه الصفات عرضية، قد تكون أو لا تكون، بمعنى نستطيع أن نتصور كونا من دون لون وطعم و رائحة، لكن هناك حقيقة لا يمكن أن نتصور الأشياء بدونها هي العدد، فمثلا 10 برتقالات يمكنك أن تتصور لونها أحمر أو أخضر أو بلا لون أو بلا لون و يمكنك أن تتصورها حلوة أو مرة أو بلا طعم، أي هذه الصفات عرضية وليست جوهرية، لكنك من المستحيل أن تتصورها غير قابلة للعد، فقابلية العد صفة لا تزول بزوال الأشياء نفسها، فكل شيء يكون العدد أساسا له، فنسبة لأشياء لبعضها البعض عبارة عن عدد، فإذا قلت هذه الشجرة أطول من تلك، كان ذلك يعني أن الوحدات الطولية في الشجرة الأولى أكثر من الثانية، وحتى نغمات الموسيقى عبارة عن عدد لأنها ليست إلا موجات صوتية و اهتزازات تقاس بوحدات معروفة في علم الصوت. و لم يرمز الفيتاغوريون للعدد بالأرقام بل كانوا يصورونه بالنقط على قدر ما فيه من أحاد، ويرتبون في شكل هندسي: فالواحد نقطة والاثنان خط والثلاثة سطح والأربعة صلب جامد وخمسة صفات طبيعية و

1-أحمد أمين و زكي نجيب محمود، مرجع سابق "**قصة الفلسفة اليونانية**" ص ص27-30.

الستة حياة ونشاط و السبعة عقل و حب و حكمة. **(1)** فالأصل الأول لجميع الأشياء هو الواحد و منه تخرج الأعداد و منها تخرج النقط و من النقط تخرج الخطوط و من الخطوط تخرج السطوح ومن السطوح تخرج الأجسام و من الأجسام تخرج العناصر الأربعة: النار و الهواء والماء والتراب، التي تكون العالم و هي في تغير دائم و يرجع أحدهما للأخر.**(2)** أي هذه الأرض و هذه الشمس و الهواء والماء والنار كلها مصنوعة من أعداد، قولهم بهذا الرأي الغريب هو خلطهم بين الحساب والهندسة واعتبارهم شيئا واحدا. وقد رأى "عبد الرحمن بدوي" أن الواحد عندهم هو الله، و هو مبدأ مجرد يمثل الخير الذي تسعى إليه النفس و تعمل على التطهر من رغبات الجسد من أجل الاتحاد به، و هذا ما يعكس نزعتهم الصوفية.**(3)** وللفيثاغوريين أراء في علم الفلك وهو نقضهم للفكرة القائلة بمركزية الأرض و قرروا أن الأرض كوكب من الكواكب التي تدور حول النار المركزية، وليست هذه النار المركزية هي الشمس لأن الشمس تدور حولها، وهو بذلك أول من خطا بعلم الفلك نحو الاتجاه الصحيح وسبق "كوبرنيك" بقرون الذي سار نحو الدقة العلمية شوطا بعيدا.**(4)**

3-الفلسفة الايلية ونشأة الميتافيزيقا: بدأت الفلسفة في أيونيا كما رأينا بطبيعة مادية لا ترى إلا أجساما يتخللها الحركة والسكون، ثم انتقلت إلى الفيثاغوريين وعرجوا بها من تلك المرحلة المادية التي اعتمدت في حقيقة الكون على الحواس إلى التفكير المجرد، لكن مجهود الفيثاغوريين كان ضعيفا مقارنة

1-أحمد أمين و زكي نجيب محمود، المرجع نفسه، ص 31-34.

2-ديوجين لابرتيوس، "**مختصر ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة**" **ت**/عبد الله حسين، المجلس الأعلى للترجمة 2006. ص،.66،67

3-عبد الرحمن بدوي "**ربيع الفكر اليوناني**" مكتبة النهضة المصرية، ط4 1970، ص109.

4-أحمد أمين و زكي نجيب محمود، المرجع نفس، ص36.

*-ايليا:-مدينة بناها الأيونيون الهاربون من وجه الفرس على الشاطئ الغربي في ايطاليا الجنوبية سنة 540 ق م.

بالمدرسة الجديدة التي قامت في ايليا * Elea و التي أعطت دفعة قوية للتفكير الفلسفي، ومن روادها:

أولا-أكسانوفان:Xénophane ولد سنة570 ق م، وهو شاعر عاش متجول يروي قصائده الرائعة في الرثاء و الهجاء، لكن هذه القصائد تتضمن أراء في الدين والفلسفة، هاجم كل من هوميروس و هزيود اللذان يمثلا ن عالم الأسطورة القديم واللذان صورا الآلهة في صورة بشرية غير لائقة ، الآلهة التي تغضب وتحب وتكره و تولد وتموت، انه يعلن الحرب على الآلهة، ويعد أول فيلسوف حارب الشرك والتصورات اليونانية الساذجة للإله، "والناس أساءوا إلى الله فكل واحد يصوره حسب حالته، فالزج يجعلون الآلهة سود الشعور و فطس الأنوف(...) لو استطاعت الخيل أو البقر أن تتصور الله لتصورته في صورة الخيل أو البقر"، و يرى أن هناك اله واحد أعلى من البشر، لا يشبه في شكله و لا فكره البشر،منزه عن البشر، قديم و لا يتصف بالفناء و العقل البشري عاجز على معرفة هذه الحقيقة اللانهائية(الله) و هو يحيط بكل شيء و يتفوق على الآلهة الصغرى.(1) وهو يقول" لم تر الدنيا و لن ترى إلى الأبد رجلا يستطيع أن يعرف الإله معرفة صحيحة دقيقة... و حتى لو شاءت المصادفة لإنسان أن يقول في الله الحق كاملا، فهو نفسه لن يعرف أنه يقول الحق"(2)و عليه الله لا يعتمد على وسائل حسية في المعرفة وهو لا يتحرك بسرعة مثلما اعتقد هوميروس والذي اعتبر سرعة الحركة رمز حقيقي للقوة الإلهية، بل الله ثابت له قدرة مطلقة و راحة في التصرف، و هذا تمهيد لفكرة الله التي تؤثر ليس في المجال الكوني فحسب بل في المجال الأخلاقي.(3) و قد اعتقد اكسونوفان أن الله والعالم حقيقة واحدة ، و هو بهذا يقترب رأيه من مذهب الحلول، فيكون رأيه متمما لرأي الفيثاغوريين، فلم يعد

1-Jager.werner « **Theology and early greek philosophers, the theology of the greek thinkers** » the gifford lectures 1936, p7,8

2-أحمد أمين زكي نجيب محمود، المرجع نفسه، ص38.

3-Ibid, p9.

الواحد الحسابي يقنعه، بل الواحد عنده هو الكون، ثم يأتي بارمنيدس و يبني فلسفته الايلية على هذا الأساس، وقد رأى في خلق الكون، أن الأرض خرجت من البحر أولا و ستغوص في البحر ثانية و بذلك يفنى البشر من الوجود، ولكنها ستعود فترتفع ثانية و سيبدأ الإنسان سيرته الأولى ثم تغوص و يفنى الإنسان، وهكذا دواليك، أما الشمس و النجوم السابحة في الفضاء هي قطع من البخار المشتعل و لا تدور الشمس حول الأرض بل تمضي في خط مستقيم حتى إذا داهمها الليل اختفت في الأفق البعيد، ثم تولد في عالم الغيب شمس جديدة تشرق علينا في الصباح، وهكذا تطلع على الناس في كل يوم شمس تنشأ أثناء الليل من بخار الماء، و رغم سذاجة هذا الرأي إلا أن له قيمة في الفكر اليوناني القديم، لأنه أراد أن يقول هذه الشمس مهما عظمت لا يمكن للإنسان أن يضعها موضع عبادة ويقدسها لأنها تفنى.**(1)**

ثانيا-بارمنيدس(520-440 ق م): ولد في إيليا و قد تتلمذ على يد أكسونوفان، و يعد المؤسس الحقيقي للمدرسة الايلية، وضع كتاب "في الطبيعة" شعرا، فكان أول من نظم الشعر في الفلسفة، ويقسم كتابه إلى قسمين: الأول في الحقيقة أو الفلسفة و الثاني في الظن أو العلم الطبيعي، لذلك المعرفة عنده نوعان: معرفة عقلية و هي ثابتة وكاملة و معرفة ظنية و هي قائمة على الأعراف والعادات والحواس و هو يرى أن الأشياء واحدة في العقل كثيرة في الحس، أي ينتقل من يقين العقل إلى ظن الحواس، ومن الفلسفة إلى العلم الطبيعي، وهو بهذا يسخر من العلم الطبيعي و من أصحابه، و الحقيقة الأولى التي ينطلق منها هي "أن الوجود موجود و لا يمكن أن يكون غير موجود، أما اللاوجود فلا يدرك"

1-أحمد أمين، زكي نجيب محمود، المرجع نفسه،40،39.

أي لا نستطيع أن نعرف اللاوجود و ما لا نعرفه ليس موجود، فالوجود هو وحده المعقول، و لما كان الوجود موجودا فهو قديم بالضرورة، وليس له ماضي و لا مستقبل لكنه في الحاضر، فالعالم واحد ثابت و قديم و كامل لا يفنى، لذلك يعد أول فيلسوف جرد مبدأ الذاتية(الهوية) و مبدأ عدم التناقض و أعلنهما صراحة و جعلهما أساسا للعقل و ذلك من خلال قوله" الوجود موجود و اللاوجود ليس موجودا و لا مخرج من هذه الفكرة أبدا"**(1)**

نستنتج مما سبق أن بارمنيدس يعد المؤسس الحقيق للتأمل الميتافيزيقي، فهو أول فيلسوف أثار مشكلة المعرفة على أساس التمييز بين الحقيقة والمظهر في الوجود، فكانت فلسفته منطلقا لفلسفة أفلاطون، القائمة على التمييز بين عالمين: عالم حقيقي ثابت يدرك بالعقل هو عالم المثل، وعالم زائف هو العالم الحسي، يدرك بالحواس، و قد أعجب أفلاطون بشخصية بارمنيدس فكلما أتاحت له الفرصة إلا ووصفه بالإجلال و الإكبار و هو يقول "أبونا بارمنيدس" "و هو بارمنيدس المبجل"**(2)**

لابد من الإشارة إلى أن برتراند راسل يصف "بارمنيدس" في كتابه"التصوف و المنطق" بأنه من أصحاب التصوف المنطقي الذي يقول أنه ظهر عند كثير من المتصوفة الميتافيزيقيين من بارمنيدس إلى هيجل، لأنه ممن تأثروا بالأسرار الدينية و خاصة الأورفية، لأن المعرفة عنده اتخذت شكل أسرار، يجب أن لا تذاع على العامة، وهو نفس الطابع الذي اتسمت به الفيثاغورية، حيث اعتبرت المعرفة بالعدد سرا من الأسرار التي نفسر بها حقيقة الكون.* فالمعرفة في اعتقادهم لها قوة التأثير على

1-يوسف كرم، مرجع سابق "**تاريخ الفلسفة اليونانية**" ص .44.45

2- أميرة مطر حلمي، مرجع سابق "**الفلسفة اليونانية، تاريخها، مشكلاتها** "86.

*-و يقال أن الفيثاغوريين قذفوا هيبا سوس إلى البحر لأنه أفشى بعض الأسرار الخاصة بالجذر التربيعي للعدد2 .

الوجود لا يتحكم فيها إلا الخاصة من الناس. فعامة الناس من غير العارفين للأسرار يكتفون بالظن و لا يعرفون إلا المظهر أي ظواهر الوجود الحسي، في حين الخاصة العارفين للأسرار هم الذين يصلون إلى الحقيقة وهو القادرون على معرفة النفس* أو الجوهر و هو الوجود الثابت الخالد، وهو يقول في مقدمة قصيدته أن الآلهة كشفت له النقاب عن كثير من الرموز التي تؤكد هذا الطابع السري للمعرفة و يستخدم رموز الصوفية، فيشير إلى المعرفة بالنور والجهل بالظلام، ويصف العين والأذن و اللسان بأنها مضللة كما أطلعته الآلهة على طريق الحق، حيث فتحت له الأبواب لتعلم الحقيقة الأساسية التي هي أشبه بالكوجيتو الديكارتي "أنه طالما يفكر فهو يفكر في الوجود".**(1)**

ثالثا–زينون الايلي: ولد حوالي 489 ق م، في إيليا، و استنادا لما رواه أفلاطون في "محاورة بارمنيدس" فانه كتب كتابا في شبابه لتأييد أستاذه ضد الذين سخروا منه، و حاولوا أن يثبتوا بأن القول بوحدة الوجود ستتبعه نتائج مضحكة و وهؤلاء هم الفيثاغوريون، الذين اعتقدوا أن العالم عبارة عن وحدات منفصلة من الأعداد، فقد أخذ بما ذهب إليه "بارمنيدس" في نظرية "الوجود" و حارب أصحاب الكثرة و بين أن لمذهبهم نتائج أكثر سخرية، مستخدما منهجا جدليا، و حيث يقول أفلاطون على لسان

---

*–نفس العالم أو نفس للأشياء: هي نظرية قديمة معروفة باسم الإحيائية Animismeو هي نظرية تعتقد بان الروح موجودة في كل الأشياء، أو هناك نفوس موجودة في الأشياء المادية، والسفسطائيون هم الذين عملوا على تفنيد هذه الأسطورة القديمة القائلة بوجود عالم روحاني هو المقصود بالتعاليم السرية. لأنه كانوا يدعون إلى علم دنيوي في مقابل العلم الديني أو السري.

1– أميرة مطر حلمي، المرجع نفسه، ص ص83–86.

زينون" وما يريده في الحقيقة كتابي هو أن يدافع بطريقته عن قضية بارمنيدس ضد أولئك الذين يحاولون السخرية منها و يدعون أن الوحدة التي تؤكدها تؤدي نتائج كثيرة تبدو مضحكة و متناقضة(....) فيهدف إلى أن يبين أن فرضهم القائل بالكثرة يبدو أكثر إضحاكا من الفرض القائل بالواحد" (1)فهو حسب ما ورد عن أرسطو أنه مخترع المنهج الجدلي للبحث عن الحقيقة عن طريق الحوار والمناقشة و إظهار المتناقضات، الذي اعتمده فيما بعد أفلاطون و كانط وهيجل.(2)و هو يرى أن حقيقة الكون بما يحتويه من جمادات و حيوانات و أشياء ثابتة على صورة واحدة، لا تتحرك و لا تتعدد، و أن ما يبدو في الظاهر من تغير و تعدد هو ومجرد وهم باطل، أي مجرد ظلال تنخدع به الحواس. وهو يقدم جملة من الحجج على بطلان الحركة والكثرة، و**حجته في إبطال الكثرة** هي:

إذا الكون ليس واحدا بل وحدات كثيرة متراكمة، كان لامتنا هيا في الكبر ولا متناهيا في الصغر في أن واحد، فهو لا متناهيا في الصغر لأنه مؤلف من وحدات فلابد أن تبلغ تلك الوحدات من الصغر إلى ما لانهاية، بحيث تكون بدون حجم، لأنه لو كانت للوحدة حجم سقطت عنها صفة الوحدة وأصبحت قابلة للانقسام إلى وحدات أصغر منها، وإذا سلمنا بأن كل وحدة على انفراد لا حجم لها لزم أن يكون الكون الذي يتكون منها كذلك لا حجم له، لأنه حاصل جمعهما. وفي المقابل يكون الكون لا متناهيا في الكبر لأن له جرم، وكل جرم قابل للانقسام إلى ما لانهاية من الجزئيات، ومهما بلغت تلك الجزئيات من الصغر فهي إذا ضربت في عدد لانهائي كان الكون عظيما يمتد إلى ما لانهاية، إذن فرض الكثرة

1-أفلاطون" **محاورة بارمنيدس**" ت/حبيب الشاروني، المجلس الأعلى للثقافة 2002. ص.12

2-أحمد أمين و زكي نجيب محمود، المرجع نفسه، ص49.

من الصغر فهي إذا ضربت في عدد لانهائي كان الكون عظيما يمتد إلى ما لانهاية، إذن فرض الكثرة يؤدي إلى نتيجتين متناقضتين لا يقبلها المنطق السليم. أما في **بطلان الحركة يقدم زينون حجج التالية:** الأولى تسمى **بالقسمة الثنائية** وهي مأخوذة من فرض المقدار مركبا من أجزاء غير متناهية، فإذا أردت أن تقطع مسافة ما فستقطع نصفها الأول و يبقى أمامك نصفها الثاني ثم نصف النصف، ويبقى نصفه الأخر وهكذا ستظل تقطع نصفا و يبقى نصف إلى ما لانهاية، هكذا فلن تصل إلى غايتك، ولما كان اجتياز النهاية متعذرا كانت الحركة متعذرة.**(1)** و الحجة الثانية تسمى بحجة "**أخيل و السلحفاة**" و هي عبارة عن تمثيل للأولى، وتعني أنه إذا فرضنا "أخيل" "ذا القدمين الخفيفين" يسابق السلحفاة متقدمة عليه مسافة قصيرة و أنهما يبدأن في وقت واحد، فان أخيل لن يدرك السلحفاة إلا إذا قطع المسافة الأولى الفاصلة بينهما ثم المسافة الثانية و هكذا إلى ما لانهاية.**(2)** و الحجة الثالثة تعرف **حجة السهم**، معناها أنه إذا انطلق سهم في الهواء، فلابد أن يكون في أية لحظة زمنية ثابتا في مكان معين، لأنه لا يجوز أن يكون في اللحظة الواحدة في مكانين مختلفين، ولكن إذا كان السهم في كل جزء زمني ساكنا في مكان بعينه، لزم إن يكون في مجموع الفترة الزمنية ساكنا كذلك، لأن استمرار السكون ينتج سكونا و ليس حركة.**(3)**

غير أن زينون يتجاهل أن كل واحد من المجموعتين المتحركتين يوفر بحركته نصف المسافة على الأخر، بينما الساكن يبقى على حاله، وهذا هو سبب الفرق في الزمن، ويتجاهل الزمان والمكان

1-أحمد أمين وزكي نجيب محمود، المرجع نفسه ، ص ص .45،47

2-يوسف كرم، المرجع نفسه"، ص .47،48

3-أحمد أمين، زكي نجيب محمود، المرجع نفسه، ص 47.

والحركة كأشياء متصلة، وأن المسافة ليست مقسمة بالفعل إلى أجزاء لامتناهية.(1)

ومهما يكن فرغم أن هذه الفروض تبدو وكأنها لهوا صبيانيا إلا أنها "لهوا جديا" كما وصفها أفلاطون في محاورة "بارمنيدس" لأنه أثار مشكلة لا تزال مجال للبحث هي مشكلة الزمان والمكان، هل هما محدودان أو لا نهائيان؟ ويمكن القول أنه بمجرد القول بوجود مكان هو اعتراف ضمن بأنه محدود، لكن من جهة أخرى هذا، ماذا عسى أن يكون خارج هذا المكان ما عدا مكان أخر وأخر إلى ما لانهاية؟ إذن المكان لانهائي ولا تحده حدود. لهذا رأى كانط أن الزمان والمكان ليسا لهما وجود في العلم الخارجي فهما مفهومان قبليان سابقان على كل تجربة حسية، فهما من خلق أنفسنا لا نستطيع نفكر ونعبر عن أفكارنا بمعزل عنهما.(2)و لابد من الاعتراف بأن الفلسفة الايلية خطت بالفكر الإنساني خطوة كبيرة نحو توحيد الحقيقة وهي الغاية التي يهدف إليها العقل الإنساني، في كل نواحي الحياة الإنسانية، ففي مجال الدين انتقل من تعدد الآلهة إلى توحيدها وفي مجال العلوم تراه يجمع الظواهر و يضعها في قوانين، غير أن توحيد الحقيقة عند الايليين لم يكن تاما كاملا، إذ فلسفتهم يكتنفها غموض، فقد اعتقدوا أن جوهر الكون وحقيقته هو الوجود نفسه، لكنهم توقفوا عند هذا الحد و لم يوضحوا كيف صدرت الأشياء عن تلك الحقيقة الأولى، بل عمدوا على إقامة الدليل على بطلانها(الحركة والكثرة) و ويتساءل أحمد أمين و زكي نجيب محمود في كتابهما "قصة الفلسفة اليونانية": إذا كان زينون قد أنكر الحركة، هل عندما يخرج من بيته إلى مكان أخر ينكر أنه تحرك؟ وهل ينكر أنه كان يمشي في شوارع ايليا؟

1-يوسف كرم، المرجع نفسه، .48

2-أحمد أمين زكي نجيب محمود، المرجع نفسه، ص 48.

فقد أراد أن يبطل هذا العالم الحسي ويعتبره وهما، لكن أليس الوهم حقيقة، فهل هذا القلم الذي بيدك وهذا الكتاب وهذا الكراس اللذان هما أمامك وهم أم حقيقة؟(1) لذلك خلفت الفلسفة الايلية عالمين: عالم حقيقي، وعالم وهمي هو عالم الأشياء، هذه الفلسفة كانت بداية لفلسفة أفلاطون.

و ختاما للاتجاهات الثلاث(الأيونية، الفيثاغورية، الايلية) يمكن القول أن الأولى أضافت إلى أصل الأشياء كما و كيفا، لأنها رأت أن أصلها مادة لها حجم وصفات والثانية أنكرت الكيف و أثبتت الكم، لأنها رأت أصل الكون أعداد رياضية لها كمية وليست لها صفات، و الثالثة جردت الكون من الكم والكيف، فهو ليس كمية مادية تقبل التجزئة، و ليس له صفات و خصائص و أشكال، بل هو فكرة مجردة من كل شيء، هو فكرة الوجود لا أكثر و لا أقل، و يمكن القول أيضا أن الانتقال من المدرسة الأيونية إلى المدرسة الايلية هو الانتقال من المرحلة الحسية الساذجة إلى مرحلة التفكير العقلاني المجرد، والفيثاغورية حلقة وصل بينهما (2)

4-الطبيعيون المتأخرون (المدرسة الطبيعية الثانية الاتجاهات التوفيقية): بعد بارمنيدس خاصة و الايليين عامة أصبح اهتمام الفلاسفة منصبا على التوفيق بين الثبات الذي برهن على وجوده بارمنيدس و الحركة التي يرونها في حياتهم اليومية، والتي اهتم بها هيراقليطس، و من جهة أخرى بين الوحدة التي أكد عليها مذهبه (بارمنيدس) و التعدد الذي اهتم به الفيثاغوريون، والذي تؤكده التجربة، و في

1-أحمد أمين و زكي نجيب محمود، المرجع نفسه، ص50، 51.

2- المرجع نفسه، ص52،51.

محاولات التوفيق هذه ظهرت فلسفة أمباذوقليس و أنكساجوراس و الذريين(ديمقريطس).(1)وسنبدأ ب:

أولا-أمباذوقليس(484 ق م-424 ق م): لم يكن أمباذوقليس مبدعا منشأ و لكنه استعرض مجموعة من الأراء المتباينة التي قدمها أسلافه، فكانت رسالته أن يوفق بينها في نظام واحد.(2) و قد ترك كتابين الأول "في الطبيعة " والثاني في "التطهير"، الأولى يبين تأثره ببارمنيدس و هيراقليدس و الثاني يبين تأثره بالفيثاغوريين، و أهم ملامح مذهبه الطبيعي هي نظريته في العناصر الأربعة أو الجذور الأربعة: النار ، الماء، الهواء، التراب، و التي يسميها أحيانا بأسماء أسطورية أي بأسماء الآلهة، فيسمي النار أحيانا باسم "زيوس".(3) "و لا أحد من الآلهة هو أكثر بداية أو أكثر احتراما من الآخرين، إنهم جميعا متساوون، لكن لكل منهما روحه الخاصة ."(4)و هذه النظرية تندرج ضمن التوفيق بين بارمنيدس القائل بالثبات و هيراقليطس القائل بالتغير، فهو يرى أنه إذا كانت المادة الموجودة لا يمكنها أن تتحول إلى مادة أخرى تختلف عنها، فهذا الأمر صحيح ، لكنه ينطبق فقط على العناصر الأولى وحدها، فالنار لا تتحول إلى ماء، و التراب لا يتحول إلى هواء، فليس الوجود عنصرا واحدا متجانسا يظل كما هو و لا يتغير مثلما اعتقد بارمنيدس و إنما هو مجموعة من العناصر هي الجذور الأربعة، ويستحيل أن يتحول عنصر من تلك العناصر إلى أخر، لكن الكون يتكون من ملايين من الأشياء المختلفة عن بعضها، هذا

1-عزت قرني، مرجع سابق "**الفلسفة اليونانية من طاليس حتى أفلاطون**" ص .67

2-أحمد أمين، زكي نجيب محمود، المرجع نفسه، ص .63

3-عزت قرني، المرجع نفسه، ص.67

4- Jager.werner, o p, cit ,p 138.

التكون للأشياء ناتج من نسبة المزج بين تلك العناصر الأربعة، أي بالإضافة إلى توفيقه بين بارمنيدس و هيراقليطس، استطاع أن يوفق بين بارمنيدس في فكرة دوام العناصر الأربعة الأولى وعدم تغيرها و المدرسة الأيونية القائلة بتغير العنصر الأول وتحوله إلى ضروب شتى من الأشياء. لكن كيف يتم المزج بين الجذور الأربعة أو كيف يتم اتصال العناصر فيما بينها أو انفصالها؟ يتم عن طريق قوتان متضادان هما: الحب و الكراهية، فالأشياء تتحد فيما بينها تحت تأثير الحب و تنقسم وتتعدد بالقوة التدميرية للكراهية.**(1)** "و في دورة الزمن يسود كل منها في الأجساد و حياة كل النباتات و الحيوانات و الناس، وعلى الأقل في حياة الكون نفسه، وحتى الأجزاء من الكون ، الشمس و الأرض و السماء والبحر مرتبطان ببعضهما في المحبة، مثل الرسام الذي يمزج ألوانه ليخرج أشكال متعددة من الأشجار و الأشياء والوحوش، الطيور و الأسماك و الآلهة التي عاشت طويلا."**(2)** و الحب والكراهية اللتان يندرجان ضمن أخلاق الإنسان ما هما إلا صورة منعكسة لهاتين القوتين اللتين تسيطر على الكون.**(3)**

وهنا يكون قد سبق العالم النفساني "سيغموند فرويد" الذي قال بعده بقرون بفكرة غرائز الايروس أو الحياة أو الحب وغرائز الثاناتوس أو الموت، باعتبارها غرائز محركة للسلوك الإنساني.

ومن جهة أخرى يوفق أمباذوقليس بين ثبات الوجود وتغيره وتعدده كالتالي: فكرة الثبات التي

1-أحمد أمين، زكي نجيب محمود، المرجع نفسه، ص ص64-66.

2- Ibid., p138,139 .

3-أحمد أمين زكي نجيب محمود، المرجع نفسه، ص66.

تحدث عنها بارمنيدس تنصب على الذرات المادية التي يتكون منها الوجود، فهي كم محدود لا يزيد ولا ينقص، يتحقق فيها شرط الدوام والثبات، و أما ظاهرة التغير فتطرأ على الأجسام من حيث الصورة.(1)فمثلا هذا الكرسي الذي أمامك قد يتلاشى ويتحول صورة أخرى من المادة، لكن ذراته تبقى خالدة. و هو يرى أن النفس و العقل ماديان مركبان من نفس العناصر الأساسية الأربعة، وله نظرية في المعرفة، حيث يبين بأن المعرفة الإنسانية محدودة ونسبية، في قوله" بقدر اختلاف طبائع الناس تتغير أفكارهم"و هو يرى علينا أن نعتمد على الحواس لكن مع حسن استخدامها في قوله" عليك أن تثق في حواسك و أن تفكر في كل شيء من الناحية التي يظهر فيها واضحا." وفي قصيدة "التطهير" يتناول فيها قضايا غير علمية وغير فلسفية، وهي القضايا الدينية، فالآلهة عنده لها خصائص غير بشرية، و يظهر أنه يتصورها في صورة الفكر، لكن في حالة الكمال، و النفس البشرية عنده هي اله طويل العمر سقط من دنيا الآلهة بسبب تلوث أيديه بالقتل، و يقول بفكرة تناسخ الأرواح، و هو يقول عن نفسه أنه كان صبيا و فتاة و شجرة و طائرة وسمكة، وهذا راجع إلى تأثره بالأورفية والفيثاغورية.(2)

ثانيا-أنكساغوراس(500-427 ق م): توفي في نفس السنة التي ولد فيها أفلاطون، من أصل أيوني ثم هاجر إلى أثينا، كان صديقا لبركليس حاكم أثينا، و قد ساعده على الهروب من أثينا عندما اتهمها أهلها بالإلحاد، لأنه قال إن الأجرام السماوية ليست آلهة، بل أن الشمس مجرد حجر ملتهب و أن القمر أرض.(3) كما أتهم بالاتصال بالفرس والعمل معهم. و المشكلة الرئيسية التي اهتم بها أنكساغوراس هي

1-المرجع نفسه، ص .63

2-عزت قرني، مرجع سابق" **الفلسفة اليونانية من طاليس إلى سقراط**"، ص69،70.

3-عزت قرني، المرجع نفسه، ص71.

هي نفس المشكلة التي اهتم بها الفلاسفة الطبيعيون الأوائل و المتمثلة في أصل الأشياء وتفسير الحركة، و المحور الرئيسي في فلسفته هو العقل، و فكرة العقل عنده قائمة على التوفيق بين المدرسة الأيونية و المدرسة الايلية ، حيث اعتبرت المدرسة الأولى(طاليس، أنكسمندريس، أنكسيمانس)أن أصل الأشياء إما الماء أو اللانهائي أو الهواء، مع القول بالكثرة والتغير، بينما الثانية (أكسانوفان، بارمنيدس، زينون الايلي) أقرت بوحدة الوجود وثباته.**(1)**

أنكر أنكساغوراس الصيرورة المطلقة التي ترى الكون في تحول مستمر، من حالة الوجود إلى حالة اللاوجود، ومن حالة اللاوجود إلى حالة الوجود. لأنه يعتقد أن المادة لا تخلق و لا تفنى* ولابد من معرفة علة التحول الذي يطرأ على الأشياء عند اتصال أجزاء المادة أو انفصالها، و هو يقول"لقد أخطأ اليونان في زعمهم أن الأشياء تحدث و تزول و ليس في حقيقة الأمر نشأة و زوال و إنما هو اتصال و انفصال يطرأن على مادة موجودة فعلا، و كان أقرب إلى الصواب أن نسمي هاتان تكونا و انحلالا."**(2)**

وذهب إلى القول إن أي جسم مادي يتركب من أجزاء لا تختلف عن بعضها البعض مهما استمرت القسمة إلى فمهما انقسم الجسم يبقى محتفظا بنفس مادته، فالشعرة مثلا إذا قسمت إلى جزأين

1-عبد الجليل كاظم الولي، مرجع سابق "**الفلسفة اليونانية**" ص130.

*-سبق أنكساغوراس لافوا زييه في مقولته" لا شيء يخلق و لاشيء يضيع و كل شيء يتحول" و التي فند بها الكيمياء السرية التي تعتقد أن المادة تتكون من عنصر روحي، و هذا يعنى أن رأي انكساغوراس يمثل لبنة التفكير العلمي الذي يقوم على الأسباب الواقعية.

2-أحمد أمين و زكي نجيب محمود، المرجع نفسه، ص 80.

يظلان إلى ما لانهاية هذين الجزأين من الشعر، أي لا نصل إلى نقطة معينة تنقسم فيها الشعرة إلى أجزاء من الماء والهواء والتراب والنار كما قال أمباذوقليس، لهذا هو يقول" كيف ينشأ الشعر مما ليس شعرا واللحم مما ليس لحما؟ " لذلك ينتقد نظرية أمباذوقليس في الجذور الأربعة واعتبرها لا تصلح لتفسير الكيفيات المختلفة اللامتناهية في الأشياء. ورغم إقراره بالقسمة اللا متناهية للأجسام إلا أنه يفترض أجزاء في غاية الصغر، لا يمكن أن تنقسم إلى أجزاء أصغر منها، وهي أشبه بالذرات يسميها بالبذور Spermater، تحتوي على جميع الكيفيات الممكنة وهي متشابهة فيما بينها، و هي لا متناهية العدد و غير مدركة بالإحساس بل تتصور بالعقل، وقد كانت هذه البذور مختلطة فيما بينها في مزيج أولي أطلق عليه أنكساغوراس "بانسيرميا" و هو لا نهائي أشبه بالهواء عند أنكسيمانس، و لكي يتحرك هذا المزيج يحتاج إلى قوة محركة هي قوة عاقلة و ليست وجدانية كالحب والكراهية**(1)** و هو يقول كتابه "في الطبيعة" "و العقل يدرك جميع الأشياء التي امتزجت و انفصلت و انقسمت، والعقل هو الذي بث النظام في جميع الأشياء التي كانت والتي توجد الآن والتي سوف تكون كذلك، هذه الحركة التي تدور بمقتضاها الشمس و القمر و النجوم و الهواء والأثير المنفصلين عن بعضهما البعض."**(2)** هكذا العناصر الأربعة لم تعد مبادئ أولية بل أمزجة من المبادئ تدخل كواسطة في تكوين الظواهر الطبيعية، والعقل عنده بث الحركة في المزيج و ميز بين الأشياء ثم انفصل عن جميع الأشياء التي تحركت، و لم يرض أرسطو بهذا التفسير و وصف هذا العقل بأنه "اله الآلهة".

1- أميرة مطر حلمي، مرجع سابق "**الفلسفة اليونانية، تاريخها، مشكلاتها** " ص 105-106.

2-المرجع نفسه، ص 106، مأخوذ من الشذرات لأنكساغوراس، ص 195.

وهكذا يكون أنكساجوراس قد خطى بالفلسفة خطوة جديدة سمت بها عن مستوى المادة فذهب إلى أن القوة التي تدفع المادة وتسيرها هي عقل رشيد ذكي يولد الحركة في المادة فيتكون العالم وتنبعث الحياة في الأشياء، أي انتقل في تصوره القوة العاقلة من طور إلى طور، فقد تخلص من المادة وجرد العقل وجرده من الجسمية تجريدا مطلقا، مقارنة بالنزعة الذرية لديمقريطس الذي رأى أن مبعث الحركة هو سقوط الذرات المادية نفسها سقوطا أليا في الفضاء دون أن يشرف على سيرها سلطان بصير. لذلك يعد أنكساغوراس أول من ميز بين العقل والمادة تمييزا واضحا، بعد أن كانت الفلسفة اليونانية قبله لا تعترف إلا بالمادة وحدها.

والذي دفعه إلى وجود العقل عاملان: **الأول:** الجمال والتناسق والنظام الموجود في الكون يستلزم قوة مدبرة عاقلة، **الثاني:** الحركة التي تدب في الأشياء و التي تسلك في سيرها طريقا مستقيما تهدف إلى غرض مقصود أو غاية معينة، فتناسق المادة و حركيتها كانت مقدمتين استنتج منهما أنكساغوراس نتيجة منطقية هي وجود عقل مدبر يعمل التناسق والجمال بين أجزاء المادة، ويبعث فيها الحركة الدءوبة.مع العلم أنه لم يقل العقل قوة خالقة بل منظمة مديرة، لذلك العقل عنده لم يخلق المادة من العدم بل كلاهما عنصران قديمان أزليان نشأ كل منهما بذاته، ثم طرأ العقل على المادة فبعث فيها الحركة والنظام.**(1)**

وخلاصة لما سبق يمكن أن نستنتج نقطتين أساسيتين أضافهما أنكساجوراس للفلسفة اليونانية:

1-أحمد أمين، زكي نجيب محمود، المرجع نفسه، ص ص 82-87

الأولى هو انه أول من فصل العقل عن المادة وقال بالثنائية، والثانية هي تحطيمه للنزعة الآلية التي سارت من قبله، حيث كانت تفسر الأحداث بعللها أما هو بأغراضها وغاياتها.(1)

ثالثا-ديمقريطسDemocritus(460-360 ق م) و المذهب الذري أو الجوهر الفرد Atomism:

ولد في أبديرا Abdera، هاجر إلى إيليا و تأثر بفلسفة بارمنيدس و لكن رغم ذلك بقيت فلسفته بعيدة عن التأثر بالنزعة الصوفية التي ميزت الفلسفة الايطالية، غي أن تأثره بالطابع العلمي للفلسفة الأيونية كان واضحا، و هو تلميذ لوقيبوس Leucippus و صديقه، و هو واضع الأساس للمذهب الذري بينما ديمقريطس أقام هذا البناء و جعله أكثر شيوعا، وهو يرى أن أصل الكون هو الذرة، لأنه لو حللنا المادة إلى جزئياتها لانتهينا إلى وحدة لا تقبل التجزئة هي الذرات أو الجواهر الفردية، تتصف بالدقة ويتعذر إدراكها بالحواس، و هي لا نهائية في العدد و تتكون من مجموعها مادة الكون، وليس العناصر الأربعة مثلما اعتقد أمباذوقليس بل هو عنصر واحد متجانس، هذه الذرات خالية من الصفات لكنها تختلف فيما بينها شكلا وحجما، و الأجسام الموجودة في الكون ناشئة عن كيفية ائتلاف الذرات في تكوينها، ومهما جردنا تلك الصفات من الذرات فهي صلبة لأنها بلغت حدا لا يقبل التجزئة و هي ذات ثقل ووزن* هذه الذرات ضئيلة ودقيقة منفصلة عن بعضها البعض بينها فراغ مطلق أو خلاء، وهذه الذرات

1-المرجع نفسه، ص 88.

*-صفة الثقل للذرات غير مؤكدة إن أضافها الذريون أو لم يضيفوها، لكن ما يرجح هذا الحكم هو أن الأبيقوريين فيما بعد أخذوا عن الذريين مذهبهم في الذرات واتخذوه أساسا لفلسفتهم، وكانوا يرون أن للذرات وزنا وثقلا، و قد تكون هذه الإضافة من عندهم، لكن بعض الباحثين أمثال زكي نجيب محمود و احمد يرجحون أن تكون منقولة عن لوقيبوس و ديمقريطس.

تتألف فيما بينها أو تتنافر في إطار الحركة، أي هناك حقيقتان أوليتان في الكون: الذرات والفراغ أو المادة و العدم، أو الوجود و الخلاء، وهو ما يسمى عند الايليين بالوجود و اللاوجود، غير أن الايليين أنكروا اللاوجود إنكارا تاما وقالوا إن الوجود وحده هو الموجود، أما الذريين بقيادة ديمقريطس أثبتوا الحقيقتين معا فالفراغ المطلق حقيقة واقعة كالمادة سوا بسواء، والفرق بينها هو الفرق بين الوعاء الفارغ و الوعاء المملوء، لأنه إذا كانت الذرات بينها فراغات فان الحركة تصبح يسيرة بالنسبة لها، لكن من الذي يدفع هذه الذرات إلى الحركة ؟ ما هي القوة التي تبعث المادة على الحركة بعد السكون؟ يستبعد ديمقريطس كل المحركات التي افترضها غيره من الفلاسفة أمثال أمباذوقليس و أنكساجوراس، وهو يرى أن مبعث الحركة هو الضرورة العمياء. فهي التي تدفع الذرات إلى الحركة في جميع الاتجاهات، فهذه الذرات تتجاذب أو تتنافر من تلقاء نفسها، دون توجيه من أي طرف أو قوة و دون هدف مرسوم أو غاية محددة.**(1)** و هكذا يوفق ديمقريطس بين الايليين الذين يرون أن الوجود لا ينشأ من اللاوجود، و بين الفلسفة الأيونية التي اتصفت بالطابع العلمي.

لقد كان قول ديمقريطس بآلية الحركة وفوضاها أثر عميق في زعزعة الدين اليوناني وهدم ألهتهم، لأنه إن كانت العوالم تسير من تلقاء نفسها فلم يعد للإنسان أمل يرجوه من ألهته، وقد ذهب ديمقريطس إلى حد الكفر، ورأى أن فكرة الله نشأت من خوف الإنسان وعجزه عن تفسير الظواهر الطبيعية التي تحدث في الأرض حينا وفي السماء حينا أخر كالزلازل والبراكين. **(2)** والنفس مادية مؤلفة من ذرات نارية، تتكون من ذرات ناعمة مستنيرة، وهي أنقى من النار المعروفة وأشد صفاء تتفرق ذراتها بعد

1-أحمد أمين، زكي نجيب محمود، المرجع نفسه، ص ص69-74.

2-المرجع نفسه، ص75.

الموت، وفي مجال الأخلاق يرى ديمقريطس أن السعادة تتوقف على الحالة النفسية وحدها من هدوء وصفاء، فكلما ازدادت هدوء و صفاء كان المرء أكثر سعادة و نعيما، والطريق المؤدي إلى ذلك هو الاعتدال و بساطة العيش. وفي المعرفة يرى أن الظواهر الحسية الخارجية تنبعث عنها صور تقع على الحواس فتؤثر فيها فتنعكس صورها على صفحة الذهن.**(1)**

*-**الفترة الثانية من مرحلة النشأة (الحركة السوفسطائية و سقراط):** مثلما رأينا، الفترة الأولى من الفكر اليوناني بصفة عامة، تميز بكونه كان متجها نحو العالم الخارجي بالبحث عن المصدر الأول لكل الموجودات، بينما العالم الداخلي الذي هو مصدر الأخلاق، و العقل الذي هو مصدر المعرفة فلم يكن محل اهتمام هذا الفكر، لكن تغيرات اجتماعية وسياسية أدت إلى توجيه الفلسفة اليونانية نحو القضايا الإنسانية، الأخلاقية و السياسية و غيرها (الفلسفة الإنسانية)، وقد كان هذا مع الحركة السوفسطائية و سقراط. ولتوضيح ذلك نتطرق إلى:

1-الحركةالسوفسطائية: حركة فكرية كانت في النصف الثاني من القرن 5 ق م ، وكلمة "سوفيست" Sophiste تدل في الأصل على المعلم في أي فرع من فروع العلوم و الصناعات، وخاصة معلم البيان"و البيان هو فن القول في الفنون التي يكون فيها الكلام هو الشيء الأهم و على الأخص الفنون التي تتصل بالأمور السياسية، و في هذه الأهم على الأخص عامل الإقناع"**(2)**ثم سأل سقراط جورجياس عن موضوع علم البيان، فيجيب:" الأقوال، و يسمى بفن الخطابة(...) فن الخطب السياسية"**(3)**

1-المرجع نفسه، ص 77، 78.

2-أفلاطون، **محاورة "جورجياس"** ت/ حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط1، 1970، ص 25.

3-المصدر نفسه، ص 35،36.

ثم لحق هذا المصطلح التحقير في عهد سقراط و أفلاطون، لأن السفسطائيون كانوا مجادلين مغالطين، يتاجرون بالعلم. فأصبح يدل على القول المغالط، المخادع، المموه، لذلك لقبوا بالشكاك(أصحاب الشك المطلق) الذي هو شكمن أجل الشك و ليس من أجل اليقين، لأنهم كانوا يدافعون عن الرأي ونقيضه بتوظيف حجج خلابة، و من يقوم بهذا العمل ليس هدفه الحقيقة بل تدمير الحقيقة، و السفسطائية ليست مدرسة فلسفية يجمع فلاسفتها أراء خاصة بهم، و إنما هم مجموعة من المعلمين متفرقين في بلاد اليونان اتخذوا التدريس حرفة لهم، يتنقلون من مدينة إلى أخرى يلقون المحاضرات على الطلبة و يتقاضون الأجر على تعليمهم، فنالوا أرباحا كثيرة و نزلوا بالعلم إلى مستوى الحرف و الصنائع، و كان هذا من الأسباب التي جعلت الأغلبية يكرهونهم، لأن التعليم بالأجر لم يكن من عادة الشعب اليوناني، و قد كان هدفهم تعليم اليونانيين الشباب ليكونوا مواطنين صالحين للحياة، لأن في ظل الديمقراطية أصبح حلم كل مواطن هو الحصول على منصب سياسي، لذلك أهم ما يحتاجه الطالب هو علم البلاغة و القدرة على الجدل أو اللعب بالألفاظ، و على هذا الأساس يعدون مؤسسي علم البلاغة، فكان عملهم عمل المحامي الذي يدافع عن قضية معينة، فقد كانوا يعلمون الشباب كيف يكسبون خصومهم بكل الوسائل، باللعب بالألفاظ و الاستعارات، و الكتابات الجذابة، و بخداع المنطق و تمويه الحقيقة، و على هذا الأساس يسمى اللعب بالألفاظ و التهريج في الحجج "سفسطة" اشتقاقا من السفسطائيين، و لأنهم كانوا يعلمون الشباب ليجعلوا منهم مواطنين للظروف السياسية السائدة أنداك، فقد وصفوا بأنهم معلمو الفضيلة، و معناها ليس المعنى الأخلاقي المعروف بل كانت تدل على مقدرة الفرد على أداء وظيفته، فمثلا فضيلة القاضي هي الحكم بالعدل، و فضيلة الطبيب هي معالجة المرضى.**(1)**

1-أحمد أمين، زكي نجيب محمود، المرجع نفسه، ص93-95.

أولا–ظروف نشأتها: تغيرات سياسية حدثت في اليونان، حيث استطاعت أثينا بثلاثمائة ألف مواطن أن تقهر قوة الفرس العارمة، وبالتالي استقلال اليونان، وانتقال النظام من أرستقراطي إلى نظام ديمقراطي وانتشار الديمقراطية في جميع المدن، وما نجم عنها من تطور حضاري، فنبغ العلماء والشعراء و الفنانون و المؤرخون و الأطباء و الحرفيين، وانتشار التنافس بين الأفراد، مما ولد أسباب الخلافات والنزاعات أمام المحاكم الشعبية، و انتشر الجدل القضائي و السياسي، فظهرت الحاجة إلى تعلم الخطابة وأساليب المحاجة و استمالة الجمهور. فاستغل فريق من المثقفين مواهبهم فانقلبوا إلى معلمي البيان و هم السفسطائيون.**(1)**

و يرى كل من "زكي نجيب محمود" و "أحمد أمين" في كتابهما" قصة الفلسفة اليونانية" أن البيئة الجغرافية لبلاد اليونان الوعرة جعلت منها مدنا متفرقة مستقلة تحكم نفسها بنفسها، كل منها بقانون خاص بها، فهي ليست أمة واحدة تخضع لحكومة واحدة، و قد لازم هذا انتشار العصبية في نفوس الأفراد، أي التعصب للمدينة، فكانت مصلحة المدينة فوق مصلحة الدولة، ثم أخذت نزعة الأنانية تتسع من عصبية المدينة إلى عصبية الفرد لشخصه، أي أصبحت مصلحة الفرد فوق مصلحة المدينة، و استولى على الناس حب الذات، حب الفرد لذاته، و هذه النزعة المتطرفة في تقدير الذات هي نتيجة طبيعية لما أصاب الفرد من إذلال، أي كرد فعل للإهمال الذي عاشه الفرد اليوناني أيام سيطرة حكم الأرستقراطيين. وقد سايرت الديمقراطية تغيرات دينية واجتماعية، فمن الناحية الدينية، لم تعد

1–يوسف كرم، المرجع سابق "**تاريخ الفلسفة اليونانية**" ص61.

آلهة اليونان جديرة بالتقديس والعبادة، بل انحلت عقيدتهم الدينية، وحل محلها العلم والفلسفة وبانحلال الأرستقراطية انحلت الأخلاق والعادات باعتبارها أغلالا تقيد الإنسان و تمنعه من تحقيق غرائزه الطبيعية، و ذهبت هيبة السلطات و احترام التقاليد، هذه الظروف كانت أرض خصبة لظهور الفكر السفسطائي، بل الاتجاه السفسطائي كان مرآة عاكسة لهذه التغيرات السياسية والاجتماعية، و فلسفتهم تعبيرا عن الحياة العملية من ميول ورغبات.(1)

ثانيا- أهم رواد الحركة السوفسطائية:

1-بروتاغوراسProtagoras (480-410ق م): ولد في أبديرا، و عاش متجولا في اليونان و استقر في الأخير في أثينا، شكك في وجود الآلهة في كتابه" في الآلهة*"حيث يقول" أما الآلهة فلا أستطيع أن أجزم بوجودهم أو عدم وجودهم و أتصور أشكالهم" لهذا أتهم بالإلحاد و فر هاربا من أثينا إلى صقلية، لكن السفينة غرقت في الطريق، وتوفي حوالي سنة 410ق م(2) و قد سار بروتاغوراس في فلسفته على مذهب هيراقليطس القائل بالتغير، فهو يقول أن الوجود دائم السيلان، فالأشياء في تغير دائم من ضد إلى ضد، فليست للأشياء كينونة ثابتة، يمكن أن وصفها بها، فلا يمكن أن نقول عن الشيء أنه كذا بل يصير كذا.(3)

1-أحمد أمين، زكي نجيب محمود، ص ص91-93.

*-في كتاب "تاريخ الفلسفة اليونانية" ليوسف كرم يشير إلى أن عنوان الكتاب هو "في الحقيقة"

2-أحمد أمين، زكي نجيب محمود، المرجع نفسه، ص.95

3-عبد الرحمن بدوي "**الموسوعة الفلسفية**" الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 1984، ص590.

و في مصدر المعرفة و طبيعتها، تتلخص وجهة نظره في مقولته الشهيرة "الإنسان مقياس كل الأشياء" فالإنسان هنا ليس كماهية نوعية أو ككائن كلي و إنما كفرد، وهي نظرة السفسطائيين عامة، فهو يرى أن مصدر المعرفة الحواس و أنه لا توجد حقيقة واحدة و ثابتة بل الحقيقة نسبية متغيرة بتغير الأفراد، و يشرح أفلاطون المقولة السابقة في محاورة "تيتاوس" بأنه محاولة للتوفيق بين رأي "هيراقليطس" في التغير و رأي "ديمقريطس" في أن مصدر المعرفة هو الإحساس، فما يظهر للفرد على أنه حقيقة هو حقيقة بالنسبة له، وإذا اختلفنا في رؤية شيء، فما أره أنا حقيقة، يعتبر حقيقة بالنسبة لي، و ما تراه أنت حقيقة، يعتبر حقيقة بالنسبة لك، إن الإحساسات متعددة ومتناقضة "ألا يحدث أن هواء بعينه يرتعش منه الواحد و لا يرتعش منه الأخر، و يكون خفيفا على الواحد عنيفا على الأخر، فماذا عسانا أن نقول؟ هل نقول هذا الهواء بارد في ذاته أو حار في ذاته؟ لأن كل شيء في تحول مستمر. بناء على ما سبق: لا توجد حقيقة مطلقة، لتحل محلها حقائق متعددة بتعدد الأفراد، وحالات الفرد الواحد. و ليس هناك خطأ و من المستحيل وجود الخطأ فكل ما يراه الفرد صواب، بل لفظتا الخطأ و الصواب لا معنى لهما. هذا في مجال المعرفة، و ما ينطبق على المعرفة ينطبق على العمل أو السلوك، فالفرد دائما هو مقياس النفع و الضار و الخير والشر والعدل والظلم،(1)فما يراه عدل يعتبر عدلا بالنسبة له، وما يراه ظلم يعتبر ظلما بالنسبة له.و قد كان بروتاغوراس يعلم تلامذته كيف يأخذون بالرأي و ضده بخصوص نفس القضية، فلكل موضوع في نظره جانبان يمكن الدفاع عن كل منهما.

و قد كان رأيه رد فعل ورفض للفلسفة الايلية القائلة بأن العقل هو مصدر الحقيقة لا الحواس،

1-يوسف كرم ، المرجع نفسه، ص63.

لأنه عام ومشترك، بينما الإحساس خاص بكل إنسان، فالإنسان لا يستطيع أن ينقل إحساسه إلى غيره، لكنه يستطيع أن ينقل فهمه لشخص أخر، فإحساسي لا يشاركني فيه غيره أما عقلي فعام، أي فيه قدرا مشتركا بيني و بين الأشخاص الآخرين، كما ميز الايليون بين الوجود الذهني ، والوجود الخارجي، أي بين ما يدركه الفرد و بين الشيء في الخارج، فالأشياء الخارجية لها وجود مستقل عن أذهاننا و حواسنا، وهو يرفض وجود خارجي مستقل عن أذهاننا، فما يظهر للفرد على أنه حقيقة يكون هو الحقيقة.**(1)**

2-جورجياس: ولد بمدينة ليونتينتي بصقلية سنة 500 ق م و هو مواطن أمباذوقليس و يقال تلميذه، قضى حياته يرتحل من مكان إلى أخر واستقر في نهاية المطاف بأثينا بعد موت بركليس، و يصفه أفلاطون في محاورة "فايدروس" بأنه قد عرف بقدرته الفائقة في الإقناع، بهر الأثينيين ببلاغته و قدرته الفائقة في الخطابة، فقد كان يستطيع أن يظهر الصغير كبيرا و الكبير صغيرا، و يضفي على القديم البالي صفة الحديث و الحديث صفة القديم، وقد هاجم أفلاطون فن الخطابة عند السفسطائيين في محاورة "جورجياس" و بين تفاهتها و وصفها بأنها تمويه و خداع وليست فنا مفيدا.**(2)** و قد وضع جورجياس كتاب عنوانه"الطبيعة أو اللاوجود" حول البرهنة على ثلاث قضايا: "لا شيء موجودا" "إذا وجد فلا يمكن أن يعرف" "إذا عرف لا يمكن إيصاله إلى الغير" و قد أخذ جورجياس منهج زينون في الجدل و اعتمد على بارمنيدس في أرائه في أصل الكون ليثبت بطلان المحسوسات، في القضية الأولى"لا شيء موجود" يتابع فيها الايليين في الذين أنكر الظواهر التي تقع ترى بالحواس، فالأشياء التي تخضع للحركة والتغير باطلة تخدعنا بها الحواس، فهو يقول "إذا كان ثمة في الوجود شيء فلابد

1-أحمد أمين، زكي نجيب محمود، المرجع نفسه، ص97.

2- أميرة مطر حلمي، مرجع سابق" **الفلسفة اليونانية، تاريخها، مشكلاتها** " ص 124-125.

أن تكون له بداية، وهو إما أن يكون نشأ من العدم أو من وجود سابق له، فأما النشأة من العدم فمستحيلة، لأن شيئا لا يخرج من لا شيء، أما تسلسله من وجود قبله فهذا ينفي أن تكون له بداية ونهاية، إذن فلا شيء موجود." أما القضية الثانية " إن وجد شيء فلا يمكن أن يعرف" فهي نتيجة لازمة لوجهة نظر السفسطائيين القائلة بأن الحواس دون العقل هي مصدر المعرفة وميزان الحقيقة ومادامت الادراكات الحسية تختلف من شخص لأخر، فلا يمكن الجزم بحقيقة الشيء، وتأسيس المعرفة على الحواس يؤيد القضية الثالثة لجورجياس،لأن ما يصل إليه عن طريق الحواس لا يمكن نقله لشخص أخر و قد واصل السفسطائيون المتأخرون أمثال هيبياس و أنطيفون هذه التعاليم و طبقوها على السياسة و الأخلاق، فقالوا إذا كان ليس هناك حقيقة في الخارج، فلا وجود لقوانين أخلاقية عامة أو يخضع لها جميع الناس، بل المسألة ترجع إلى ميول الشخص و رغباته، فما يراه خيرا يعتبر خير و ما يراه شر يعتبر شر بالنسبة له، بل القانون في نظرهم من اختراع الضعفاء ليخضعوا به الأقوياء ويختلسوا منهم ثمار قوتهم، فالإنسان يستطيع بالقوة أن يخرج عن القانون دون عقاب، فالقوة هي الحق.

لابد من الاعتراف بأن هذه التعاليم السفسطائية هي تعاليم هدامة لكل نظام اجتماعي، للدين، للأخلاق، و لكل نظم الدولة، لذلك كانوا محل سخط من طرف كثير من الفلاسفة الذين أتوا بعدهم، فكرسوا مجهوداهم لهدم تعاليمهم، و رغم ذلك إلا أن فكرهم كان له أثار ايجابية، حيث نشروا التعليم في بلاد اليونان، وهيجوا الأفكار، فمهدوا الطريق لتعاليم سقراط و أفلاطون و أسسوا علم البلاغة و فن الخطابة، فكان عصرهم عصر النهضة الفكرية ويمكن وصفه بعصر التنوير(1)وفي القرن 19 ارتفع

1-أحمد أمين، زكي نجيب محمود، المرجع نفسه، ص ص98-100.

هيجل في كتابه" تاريخ الفلسفة" بالنزعة السفسطائية ارتفاعا كبيرا واعتبرها لحظة أساسية لحظات تطور الفلسفة عند اليونان، بعدما اعتبرها كل من أفلاطون و أرسطو نزعة هدامة في الفلسفة مثلها مثل النزعة الشكية، و خاصة في ميدان السياسة و الأخلاق، ولا يمكن اعتبارها نزعة فلسفية.**(1)** فعلى الرغم من كونها استخدمت كأداة للصراع السياسي القائم آنذاك، إلا أنها فئة حاولت أن تصوغ الواقع الجديد لليونانيين بصورة واقعية وعلمية لإشباع نهمهم المعرفي فهي تمثل تطور تقدمي عاصره المجتمع الأثيني.**(2)**

2-سقراط(470 - 410ق م):في وسط انهارت فيه القوانين و الأخلاق والسياسة و المعتقدات الدينية و الحقيقة جراء الشك الهدام للسفسطائيين، ظهرت في أثينا شخصية سقراط الذي قدر عليه أن يعيد النظام إلى المجتمع اليوناني، ولد سقراط بأثينا سنة 470 ق م، كان أبوه نحاتا للتماثيل و أمه قابلة، و قد اشتغل هو الأخر بوظيفة أبيه، و اسمه يقسم الفلسفة اليونانية إلى شطرين، ما قبله و ما بعده، لم يترك سقراط كتابا في الفلسفة، و لم يشيد مذهبا نسقيا في الفلسفة، و طريقته في التفلسف قائمة على الجدال فكانت عادته أن يتوجه إلى السوق في أثينا يوميا أو أية بقعة أخرى يتجمع فيها الناس و هناك ينخرط في النقاش مع أي شخص مستعد للتحدث معه عن المشكلات الأساسية للحياة و الموت، وبإمكان الفقير أو الغني أو الشاب أو العجوز أو الصديق أو أي شخص ينصت لحديثه دون أجر، أي لم يكن يتقاضى أجرا كما يفعل السفسطائيون.**(3)** و لأنه لم يعتن بالكتابة فلا سبيل إلى معرفة فكره إلا

1-عبد الرحمن بدوي، المرجع نفسه ، ص 597.

2-W, Jaeger, Paideia, « the Ideas of greek Culture » trans by highet, Oxford ,1939,p324

3-وولتر ستيس" تاريخ الفلسفة اليونانية" ت/مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1984.

عن طريق كتابات الآخرين، و لكن هؤلاء الآخرين لم يتفقوا فيما بينهم، و أشهرهم ثلاثة معاصرين له وهم: أرسطو فان، أكسانوفون، و أفلاطون، فالأول شاعر هزلي*، لا سبيل من الاعتماد على كتاباته، أما الثاني فلم يكن من اختصاصي سقراط فقد حكم عليه بالنفي 30 سنة قبل محاكمة سقراط بسنتين، فلما عاد وجد أفلاطون قد نشر مؤلفاته "السقراطية" فشرع هو يكتب "مذكرات سقراط" واضعا الأحاديث متأثرا بناحية خاصة من نواحي الفيلسوف هي البساطة، فأخرج صورة عنه تافهة مبتذلة لا تفسر لنا فلسفة سقراط، فلم يبقى إلا أفلاطون، تلميذه الأمين، لازمه طوال العشر سنوات الأخيرة، ومع العلم أن كتابات أفلاطون عبارة عن محاورات يتوارى فيها وراء سقراط يستنطقه بأفكاره و يستخدمه لأغراضه، إضافة إلى بعض النصوص القليلة لأرسطو، لكنها صريحة تعين على فهم فلسفة سقراط.**(1)** وقبل أن نوضح فلسفة سقراط لابد من الإشارة إلى أنه رفعت ضده دعوى و أتهم من طرف ثلاثة أشخاص: أنيتوس، و و ليفون، و مليتوس، و أسباب الدعوى شخصية وسياسية، لأن سقراط كثيرا ما كان ينتقد النظام الديمقراطي، و ما يقوم عليه من مساواة مسرفة و انتخاب بالقرعة، و أركان الاتهام ثلاثة، أولها: إنكار آلهة أثينا، مع العلم أن سقراط كان يعتقد بالآلهة وعنايتهم للبشر، و يظهر أن متهميه كانوا يتخذون حجة أنه فيلسوف، و قديما كان الفلاسفة متهمين في عقيدتهم. والركن الثاني: هو قوله بآلهة

---

*-أرسطو فان: في مسرحية "السحب"423 ق م يظهره على أنه أستاذ له مدرسة هي "المفكر" و تلاميذه يدرسون تحت توجيهه، يعيشون معيشة مشتركة مقابل دفع أجر الاشتراك لكل طالب ، و الحياة في المدرسة هي حياة الزهد، وجوه التلاميذ شاحبة، حفاة الأقدام، لا أجساد لهم، يدرسون الهندسة و الطبيعة و الجغرافيا وجوف الأرض و الكائنات الحية، والهواء عنده هو مبدأ الكون، غير مؤمن بالآلهة، و يعلم تلاميذه كذلك الخطابة واللغة، بمعنى هو فيلسوف طبيعي و وسفسطائي، يعلم تلامذته كيف يدافعون عن الرأي ونقيضه، من كتاب الفلسفة اليونانية حتى سقراط لعزت قرني، ص ص 108-.110

2-يوسف كرم المرجع نفسه، ص 67،68.

جدد، ويظهر هذا من خلال الكلمة التي كان يتلفظ بها سقراط دائما وهي "الروح الإلهي" و لا ينسبه لأله معين، والركن الثالث: إفساد عقول الشباب، بمعنى أن سقراط، كان يحدث تلاميذه بآرائه في الآلهة، فينفرهم من الديانة الموروثة، و يبعدهم عن طاعتهم لواليهم و عن إخلاصهم للدولة. فضلا عن أرسطو فان الذي دعا في"رواية السحب" إلى إحراق مدرسته وقتل تلاميذها، ووصفه بأنه يغلب الباطل على الحق.أما المحاكمة فكانت من محلفين واختيروا بالقرعة، كان سنهم يزيد عن الثلاثين وعددهم 502**(1)**وانتهت رغم دفاع سقراط بالحكم بالإعدام عليه، وأعدم سقراط بالسم.

أولا-موقف سقراط من الفلسفة السابقة عليه: كما رأينا سابقا، إذا رجعنا إلى الفلسفة الطبيعية التي سبقت سقراط، فقد كانت تهتم بمبدأ حركية الكون و نشأته، و التفسير الرياضي للكون مع الفيثاغوريين، بينما الفلسفة الايلية انصرفت عن تفسير الظواهر الطبيعية، فكانت نقطة البداية لتحويل الفكر الطبيعي نحو الاهتمام بالقضايا الميتافيزيقية العقلية، وهنا يمكن أن تعد هذه الفلسفة بالذات مقدمة للفكر المثالي عند سقراط و أفلاطون، أما بالنسبة للفلسفة الإنسانية السفسطائية فقد رفضها سقراط لأنها تنكر كل القوانين الوضعية والقيم الأخلاقية وتعتبرها ذات أصل إنساني لا الهي مقدس، و تنكر وجود الآلهة ، لذلك حارب بضراوة كل نظرياتهم في السياسة و الأخلاق والدين، وكان همه الوحيد أن يصلح ما أفسده السوفسطائيون و يبصر الشباب و المريدين الأثينيين و غير الأثينيين بالحق والخير منتهجا في ذلك منهج الجدل القائم على الإقناع.**(2)**

أما بالنسبة لموقفه من الفلسفة الطبيعية، لم يهتم بهذه المسائل النظرية لبعدها عن العمل، لأن

1-يوسف كرم، المرجع نفسه، ص ص 71-74.

2-المرجع نفسه، ص68.

الحكمة عنده هي كمال العلم بكمال العمل، إضافة إلى ذلك تناقض الطبيعيين فيما بينهم، حيث نجده في محاورة "الدفاع" لأفلاطون، و هي المحاورات المعبرة عن فلسفة سقراط، ينكر معرفته و اهتمامه بالفلسفة الطبيعية إنكارا تاما، وهذا ردا على اتهام مليتوس بأنه كان مشتغلا بالبحث في الطبيعة و ظواهرها، و في محاورة "فيدون" يوجه نقدا لاذعا لفلسفة أنكساجوراس الطبيعية، لأنها فلسفة آلية تفسر الأشياء تفسيرا أليا ماديا، ولا تبين العلة الغائية من وجود الأشياء و حركتها رغم قوله بأن العقل هو مبدأ الحركة في الكون، و اتهم هذه الفلسفة بالفشل و السخط و اعتبرها كفر و الحاد، و قد اعتبر سقراط أن الفلسفة الطبيعية لا تليق بالإنسان، لأنه يعتقد بأن عالم الطبيعة من صنع الآلهة، فهي وحدها التي تملك معرفته، لذلك حرمت الآلهة على الإنسان هذه الدراسة، وبذلك فالطبيعيون بأبحاثهم في الكون يخالفون حكم الآلهة. غير أن فلسفة سقراط تركت تأثيرا كبيرا في علم الطبيعة، وذلك من خلال النزعة الغائية التي يؤمن بها و التي كان لها تأثيرا في فلسفة أفلاطون و أرسطو، فهو يؤمن بأن الكون يخضع في سيره لتدبير عقل الهي، فهو موجه إلى غاية خطة مرسومة مسبقا.**(1)**

ثانيا–منهج سقراط و فلسفته: لقد كانت عناية سقراط بالإنسان، والقضايا الأخلاقية والاجتماعية المرتبطة به، و اقتنع بأن العلم الحقيقي هو العلم بالنفس لأجل تقويمها متخذا شعارا له جملة قرأها في معبد"دلفي" "أعرف نفسك بنفسك" و المناهج المناسبة لهذه الدراسة هي المناهج العقلية، فقد انتهج منهجا جديدا في البحث الفلسفي يقوم على الجدل(الحوار) **هو منهج "التهكم أو التوليد"** يقوم على مرحلتين، **ففي الأولى أي التهكم،** يتصنع الجهل و يتظاهر بتسليم أقوال محدثيه ثم يلقي الأسئلة و يعرض الشكوك، فينتقل من أقوالهم إلى أقوال لازمة عنها فيقعون في التناقض، ويصلون إلى الاعتراف بالجهل،

1– أميرة مطر حلمي، مرجع سابق "**الفلسفة اليونانية، تاريخها، مشكلاتها** " ص 147،148.

و هذا ما يسمى بالتهكم السقراطي، أي السؤال مع تصنع الجهل، و غرضه تخليص العقول من العلم السفسطائي الزائف، و تفنيد أراء الخصوم و الجهل هو الخطوة الأولى نحو التعلم، و قد كان يقول"كل ما أعرفه هو أنني لا أعرف شيئا". و **في المرحلة الثانية أي التوليد**، يساعد محدثيه بالأسئلة المرتبة ترتيبا منطقيا للوصول إلى الحقيقة التي كانوا يجهلونها، فيصلون إليها و هم يحسبون أنهم اكتشفوها بأنفسهم، لكن بمساعدة سقراط، و هذا هو التوليد، أي استخراج الحق من النفس، و كان سقراط يقول"انه يحترف صناعة أمه "فايناريت" القابلة إلا انه يولد الأفكار من النفوس" و هو بهذا يشير إلى نظريته في أن المعرفة فطرية في النفس و مهمة المعلم تتلخص في استخراج الكامن في الأخر دون إضافة جديد إليه. و يمكن القول أن المنهج السقراطي ليس منهجا لتعليم الفلسفة بل هو منهج للتفلسف، فهو لم يكن يناقش الناس ليعلمهم شيئا بقدر ما كان يبين لهم طريق المعرفة.و قد اعتقد سقراط أنه يحمل أمانة سماوية،و أن الله أقامه مؤدبا عموميا مجانيا، يرضى بالفقر و يمتنع عن متاع الدنيا ليؤدي هذه الرسالة الإلهية**(1)**

أما في الفلسفة فتقوم على نظريتين: **نظرية المفاهيم و النظرية الأخلاقية**، فبالنسبة للأولى فكان يعتقد بأن لكل شيء ماهية أو طبيعة يكشفها العقل وراء الأعراض المحسوسة، يعبر عنها بالحد(اللفظ) لأن غاية العلم إدراك الماهيات بمعنى تكوين معان تامة الحد، معتمدا على الاستقراء للانتقال من الجزئيات إلى المعاني العامة المشتركة بينها، فكان يتساءل: ما الخير و ما الشر، ما العدالة و ما الظلم؟ ما الحكمة وما الجنون؟ ما الشجاعة وما الجبن؟ فكان يجتهد في تقديم ألفاظ تحمل معاني جامعة مانعة. ويقول أرسطو في كتاب ما بعد الطبيعة "أن سقراط أول من طلب الحد الكلي طلبا مطردا

1-يوسف كرم، المرجع نفسه، ص 69,70.

و توسل إليه بالاستقراء، وإنما يقوم العلم على هاتين الدعامتين، يكتسب الحد بالاستقراء و يستنتج بالقياس، فالفضل راجع إليه في هذين الأمرين."**(1)** فمثلا يوجه سقراط الحوار إلى تقديم تعريف للعدالة يقدم مجموعة من الأمثلة التي توضح العدالة و مجموعة من الأمثلة أخرى توضح نقيضها، كخداع الأعداء في الحرب، إخفاء الحقيقة عن المريض، لكن الخداع و الكذب لا تكون كذلك في الظروف المغايرة، ويصل إلى استنتاج حد كلي يحدد ماهية العدالة، و كذلك الأمر بالنسبة لمفهوم الإنسان و الحيوان والنبات....الخ و سقراط و هو يضع المعرفة كلها في المفاهيم يجعل العقل أداة للمعرفة، و هذا يتعارض مع مبدأ السفسطائيين الذين وضعوا المعرفة كلها في الإدراك الحسي، و مادام العقل مشترك بين جميع الناس، فانه سيترتب على التوحيد بين المعرفة والمفاهيم الكلية أن سقراط يرى أن الحقيقة واحدة تتصف بالموضوعية و الثبات، يتفق عليها جميع الناس، و هذا الرأي مدمر لرأي السفسطائيين القائلين بأن الحقيقة أمر فردي يختلف باختلاف **الأفراد(2)أما** النظرية الأخلاقية تتلخص في الغاية النهائية القصوى للحياة هي غاية عملية لا نظرية هي الفضيلة ، فكل شيء في هذا العالم مثل الثروات و الراحة و المعرفة الجزئية لا قيمة لها، و هو يرى أن الفضيلة معرفة و يقصد بذلك أن الفضيلة تعتمد على معرفة الفضيلة، فالمعرفة الوحيدة هي المعرفة الأخلاقية، و يقول "أرسطو"" لقد انصرف سقراط عن البحث في الطبيعة و عكف على دراسة الموضوعات الأخلاقية، وفي هذا المجال كان يعني

1-Aristote « **Métaphasique** » traduction et de j, tricot, éditions les Echos du maquis(e pub, PDF) v : 1, à janvier 2014. Livre 1-A(985 b-987b) p56 .

2-وولتر ستيس ، مرجع سابق "تاريخ الفلسفة اليونانية" ص 126.

بالكلي، وكان أول من أقام العلم على التعريفات."**(1)**

اعتقد سقراط في وجود الآلهة وعنايتها بالعالم والحياة الإنسانية، وهو يقول بوجود علة عاقلة تدخلت في تكوين المخلوقات، وما يحدث في الكون والحياة الإنسانية هو نتيجة تدبير وعناية إلهيتين، فعلى مستوى الجسم البشري أعضاؤه منظمة بطريقة محكمة تتيح لها القيام بوظائفها على أحسن وجه، و هو يضرب لنا مثال عن العناية الإلهية السامية بالعين التي خلقت، بحيث تحميها الجفون، و كيف تفتح الجفون عند الإبصار، ثم تغلق عند النوم، لذلك فهو يرى أن عبادتها و تقديسها فريضة على البشر. و أما بالنسبة للنفس فهو يؤكد سيادتها على البدن و يعتبرها الجوهر العاقل الذي يتميز به الإنسان عن الحيوان، لذلك رأى أن الفضائل كلها تتوج بفضيلة الاعتدال، على أساس أن سيطرة العقل على أفعال الإنسان يوجهها نحو الفضيلة، فمثلا الشجاعة لا تنبع من أية قوة وجدانية أو حماسية وإنما تصدر من العقل.**(2)**

أما بالنسبة لعبارة "**أعرف نفسك بنفسك**" لا تكشف عن نظرية خاصة في طبيعة النفس ومصيرها، بل تكشف عن مضمون أخلاقي، يتمثل في أن معرفة الإنسان لنفسه من أجل توجيهها توجيه معين في الحياة والسيطرة على السلوك. ومعرفة النفس عنده هي أيضا معرفة بالخير وتحقيق للفضيلة، لأن من يعرف نفسه، يعرف ما يناسبها وما لا يناسبها. وبالنسبة لقوله" **الفضيلة علم والرذيلة جهل**" فهي تعني أن جهل الإنسان بالخير هو وحده هو الذي يورطه في الشر، والشر يتحدب الشقاء بينما الخير

1-Ibid, p56.

2- أميرة مطر حلمي، المرجع نفسه، ص148.

يتحد بالسعادة، لذلك يستحيل على الإنسان أن يرتكب الشر وهو يعلم أنه شر، فليس من المعقول أن يتخلى الإنسان عن سعادته بإرادته. وخلاصة القول أن المعرفة بالنفس هي السبيل الوحيد لتحقيق الفضيلة.**(1)** و هو يرى أن القوانين من صنع الآلهة، لذلك هي حقائق ثابتة متوارثة ينبغي المحافظة عليها، والثورة عليها يعنى إخلال بالنظام و تحطيم كيان المدينة، و هو بهذا يعارض السفسطائيين،**(2)** الذين يرون أن القوانين من صنع الأقوياء.

1-أميرة مطر حلمي، المرجع نفسه، ص 150، 151.

2-المرجع نفسه، ص 152.

الفصل الثالث: مرحلة النضج في الفلسفة اليونانية(أفلاطون و أرسطو)

1-أفلاطون plato (427-347 ق م):

أولا-التعريف بأفلاطون ومؤلفاته: لم يشهد التاريخ فيلسوفا قبل أفلاطون أنشأ مذهبا شاملا لجميع نواحي الفكر وجوانب الحقيقة، فلم تعد الفلسفة قبله سوى أراء متناثرة ونظريات وملاحظات، بحيث لم تتسع لتشمل الكون و الحياة السياسية و الاجتماعية وجميع مناحي الحقيقة، فجاء أفلاطون و أخذ خير ما عند الفيثاغوريين و الايليين و أحسن ما أنتجه هيراقليدس، و هكذا أخذ أمل أزهارهم ز نسقها في باقة جميلة منسجمة في فلسفة جديدة من إنشائه.

و لد أفلاطون ما بين 429 و 427 ق م من أسرة أرستقراطية في أثينا تركت له الثروة الفراغ للاهتمام بالفلسفة، و هو أرسطوقليس Aristocles بن أرسطون Ariston و أقريقطون Acrictine، و قد أطلق عليه أفلاطون من قبل السخرية، أي العريض لامتلاء جسمه و قوة بنيته، عاش في أثينا معظم حياته الى أن ناهزت الثمانين، نظم الشعر و برع في الغزل و كتابة المسرحيات و نبغ في الرياضيات و الموسيقى و البلاغة و مارس الألعاب الرياضية، و أشتهر بالسياسة بحكم قرابته و عراقة نسبه، تأثر في سن العشرين بسقراط، فما كان إلا أن أحرق قصائده و ترك الغزل و النساء ونهج خطى الفيلسوف الشيخ الذي استولى على مشاعره(1)

عاصر الحرب البيلوبونيزية بين أثينا و أسبرطة والتي انتهت بتحطيم أسطول أثينا وانتقال الحكم

1- محمد عبد الرحمن مرحبا " **الموسوعة الفلسفية الشاملة، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية**" المجلد الأول، عويدات للنشر و الطباعة، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص 112.

إلى جماعة الديمقراطيين الذين قتلوا سقراط فصدم أفلاطون صدمة عنيفة و كان في سن 27 من عمره، فخلف لنا صورا رائعة في دفاع سقراط و سجنه و إعدامه في محاورة "الدفاع" و "فيدون" و لما فسدت الديمقراطية استولى على الحكم طبقة الأرستقراطيين 30 جبابرة و طغاة مارسوا الظلم و نشروا الفساد، فعاش أفلاطون العهدين، لذلك نقم على الديمقراطية و على أرستقراطية.

أنشأ في أثينا أكاديمية في مكانا هادئا بعيدا عن ضجيج المدينة، و هو أحد الملاعب الأثينية يقع قريبا من المدينة، في شمالها الغربي، و كان يسمى باسم أحد الأبطال القدماء "أكاد يمس" فأطلق على المدرسة أكاديمي أو أكاديمية، و التف حوله طائفة من التلاميذ يعلمهم الحكمة**(1)**

أما بالنسبة لمؤلفات أفلاطون، فقد صاغ كتبه في أسلوب الحوار واتخذ من سقراط بطلا للكثير الغالب من تلك المناقشات المكتوبة، فيجري على لسانه ما يريد أن يقوله هو من فلسفة مضافة الى فلسفة سقراط نفسه، لذلك امتزجت أراء سقراط بآراء أفلاطون حتى لا نستطيع أن ميز بينهما في كثير من المواضع، ولم يكن أفلاطون فيلسوفا فحسب بل كان أديبا وشاعرا، لذلك كان أسلوبه خيالي، فهو لا يشرح الفكرة بوضوح وبطريقة علمية مباشرة، ولكن يشرحها عن طرق الاستعارات والأساطير و القصص، و يمكن تصنيف مؤلفاته إلى:

-**مصنفات الشباب:** تسمى بالمصنفات السقراطية، كتبها في نحو العهد الذي مات فيه سقراط، وقبل موته بقليل، أي قبل أن يغادر أثينا في رحلاته إلى ميغارا وغيرها، ومن هذه المؤلفات منها ما هو احتجاج على سقراط وعلى إعدامه وبيان لأرائه و منها ما هو مثال للمنهج السقراطي، و في هذه

1-أحمد أمين و زكي نجيب محمود، مرجع سابق "**قصة الفلسفة اليونانية**" ص141.

المرحلة لم يكن أفلاطون قد أنشأ لنفسه فلسفة خاصة، و هذه المحاورات هي: محاورة "أوطيفرون" يوضح فيها موقف سقراط من الدين، و "جورجياس" ينتقد فيها السفسطائيين في مصدر الأخلاق، و "بروتاغوراس" يتحدث فيها عن ما هو السفسطائي و ما الفائدة من تعليمه، و هل يمكن تعليم السياسة والفضيلة، و محاورة" الدفاع" يدافع فيها عن سقراط و فيها احتجاج على إعدامه، والمقالة الأولى من كتاب "الجمهورية" .

-**مصنفات الكهولة(المرحلة الوسطى في حياته):** كتبها بعد انتقاله إلى إيطاليا و إنشائه الأكاديمية، و الأفكار الفيثاغورية ظاهرة في مؤلفاته، و قد اهتم بهذه الفترة بمسائل الميتافيزيقا و المنطق، منها "منكسينوس" يبسط فيها رأيه في البيان بعد أن انتقد السفسطائية في "جورجياس" و محاورة "مينون" يحاول فيها تحديد الفضيلة، و "المأدبة" أو ما يسميه المسلمين ب"النادي" يدرس فيها الحب (الايروس) و يبين فيها مذهبه في الحب الفلسفي، و محاورة "فيدون" يصور المثل الأعلى للفيلسوف و يدلل على خلود النفس، و يسرد فيها قصة موت سقراط، و "الجمهورية" تسع مقالات يرسم فيها معالم الدولة المثلى، و "تيتاوس" يراجع فيها العلم و يعلل الخطأ.

-**مصنفات الشيخوخة (مرحلة النضج):** و هي محاورات جافة عامرة بالجدل الدقيق، منها "السوفسطائي" يحاول فيها أن يجد حدا لهذا المخلوق العجيب، و في السياسي(بوليطقوس أو المدبر أو مدير المدينة عند المسلمين) يسأل فيها: ما هو السياسي و يعود إلى مسائل الجمهورية، و"هيماوس" يصور تكوين العالم و يشير إلى الصانع و الطبيعة إجمالا و تفصيلا، و" القوانين" و هي تشريع ديني و

مدني و جنائي في اثني عشر مقالة، و هو الكتاب الوحيد الذي خلا من شخص سقراط(1)

ثانيا–فلسفته: و يمكن تقسيم فلسفة أفلاطون التي جاءت في المصنفات الثلاث إلى الأقسام التالية:

–نظرية المعرفة: يكمل فيها ما بدأه سقراط، كتفنيد للسفسطائيين.

–نظرية المثل تبحث في الحقيقة المطلقة.

–النفس الإنسانية.

–الأخلاق: وتشمل المبادئ السياسية وواجبات الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع(2) أي الفكر السياسي عند اليونانيين كان متضمن في أرائهم الأخلاقية.

1–نظرية المعرفة: تقوم نظرية المثل نفسها على نظرية المعرفة، و لعل أهم تأثير مباشر على أفلاطون هو ما تركه أستاذه سقراط، و الدليل على ذلك هو قوله " شكرا لله الذي خلقني يونانيا لا بربريا، حرا لا عبدا، رجلا لا امرأة، و شكرا له لأنه خلقني في عهد سقراط" و يبدأ أفلاطون بتفنيد النظريات الزائفة التي تقول بأن المعرفة تقوم على الحواس أو الإدراك الحسي، و هو رأي السفسطائيين، وهذا هو موضوع محاورة "تيتاوس" و تتلخص حججه كالتالي:

1–الإدراك الحسي يؤدي إلى انطباعات متناقضة، فمثلا الشيء يبدو عن قرب كبيرا و صغيرا عن بعد، و ثقيلا بمقارنته بأشياء، خفيفا بالنسبة لأشياء أخرى، و يبدو في ضوء ما أبيض و في ضوء أخر

1–مصطفى غالب " **في سبيل موسوعة فلسفية**" الجزء 7، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1988، ص ص27–30.

2– أحمد أمين و زكي نجيب محمود، المرجع نفسه، ص146،147.

أخضر، وفي الظلام لا لون له على الإطلاق، فأي من الانطباعات الحسية تمثل الحقيقة، إذن كلها حقيقية.

2-إن هذا الرأي يجعل كل بحث وكل برهان مستحيلا، ولما كل الإحساسات حقيقية، فان الادراكات الحسية عند الطفل هي الأخرى حقيقة، إذن لا حاجة لتعليمه.

3-نظرية بروتاغوراس تناقض نفسها، لأن بروتاغوراس يعترف بأن ما يبدو لي فهو حقيقي، يترتب عن هذا أنه إذا بدا لي مذهب بروتاغوراس زائف، فيجب على بروتاغوراس نفسه أن يعترف بأنه زائف.

4-في الإدراك الحسي هناك عناصر لا تأتي عن طريق الحواس، فمثلا إذا قلت "السبورة خضراء" فقبل أن أصدر هذا الحكم أفكر في "السبورة الخضراء" و أقارنها عقليا مع غيرها من السبورات، فهذه العملية تتضمن التصنيف و المقارنة، فهو حكم لا يعتمد على الحواس بل على العقل، إذ أفكار الاتفاق و الاختلاف لا تولدها الحواس بل العقل.**(1)**

و بعد تفنيد نظرية السفسطائيين الزائفة ينطلق أفلاطون في الجانب الإيجابي من المعرفة، وهنا نتساءل: اذا لم تكن المعرفة إدراكا حسيا أو ظنا، فما هي ؟ ان الإجابة عن هذا التساؤل يكون بالتطرق إلى العنصر الموالي:

2- نظرية المثل و الجدل: ينطلق أفلاطون مما بدأه أستاذه سقراط، فهذا الأخير رأى أن الادراكات الكلية التي يصل إليها الإنسان بعقله هي المعرفة الحقة ووقف عند هذا الحد، و لا يرى لها وجودا

1-وولتر ستيس، مرجع سابق "**تاريخ الفلسفة اليونانية**" ص ص 154-156.

مستقلا في الخارج، و جاء أفلاطون و سار بهذه الخطوة إلى نظرية المثل، و هي أساس نظريته.(1)

فالمفاهيم الكلية السقراطية يحولها أفلاطون إلى نظرية ميتافيزيقية، وهي نظرية موضوعية المفاهيم، و مضمونها أن المفهوم ليس مجرد فكرة بل له وجود مستقل عن العقل، فعندما أقول فكرة ما موجودة في عقلي، فلابد أن هذه الفكرة نسخة من شيء موجود خارج العقل، هذا المفهوم يتطابق مع حقيقة موضوعية، بمعنى لابد من وجود مفاهيم خارج العقل، موجودة في عالم المثل، لذلك يميز أفلاطون بين عالمين: **عالم المثل:** عالم الحقائق الأبدية الكاملة المجردة، الثابتة، عالم تسبح فيه المثل المجردة، كالعدالة الكاملة، والخير المطلق، الصدق المطلق، الدائرة الكاملة، المثلث الكامل، و **عالم الحس:** عالم الأشياء المحيطة بنا، و هو عالم النسخ غير الكاملة، هو مجرد ظل لعالم المثل، يسوده التغير، فالحركة في عالم الحس بينما الثبات في عالم المثل، فمثلا عندما نرى في الوجود الحسي وجها جميلا، زهرة جميلة، لوحة جميلة، ندرك رغم اختلاف موضوعاتها إلا أن هناك جامع مشترك بينها هو مفهوم الجمال، و هو مفهوم ثابت يمثل المعرفة الحقيقية، بينما الأشياء الجميلة هي في عالم الحس و تمثل وجود زائف، و الدليل على وجود المثل هو أن الأشياء الجميلة لا تدرك بالحواس، فمثلا الجمال فكرة كلية نستنبطها بعد النظر في عدة أشياء جميلة، فلو لم تكن في أذهاننا فكرة سابقة عن الجمال لما عرفنا أن هذه الأشياء بالذات تشترك في الجمال، و هذه الفكرة سابقة لها وجود أخر في عالم المثل.(2) و هكذا يكون أفلاطون قد أخذ عالم المثل من بارمنيدس و أخذ عالم الحس من هيراقليدس، و بما أن

1-أحمد أمين و زكي نجيب محمود، المرجع نفسه، ص 154.

2-محمد عبد الرحمن مرحبا، المرجع نفسه، ص128.

المثل تتكاثر كالأعداد يكون قد أخذ هذا عن فيثاغورث(1) لهذا قال أرسطو «أن فلسفة أفلاطون تجمع بين فلسفة هيراقليدس القائلة بالتغير و فلسفة بارمنيدس القائلة بالثبات و بين المفاهيم الكلية السقراطية" فهو يوافق الأول في كون التغير يصيب كل شيء في العالم الحسي، ويوافق الثاني في كون عالم المثل يمثل الحقائق الكلية الثابتة، وهذه المفاهيم الكلية أخذها عن سقراط وحولها إلى حقائق مستقلة لها وجود خارج عالم الأذهان. و قد وضح أفلاطون نظريته من خلال أسطورة الكهف، و خلاصتها تخيل أفلاطون أناس يعيشون داخل كهف، للكهف مدخل واحد يضيئه النور فيصل النور الى جميع أنحاء الكهف، و هؤلاء الناس قد سجنوا منذ ولادتهم، مكبلين من أرجلهم و أعناقهم بالحديد فلا يستطيعون الحركة، و لا ينظرون إلى صوب أعينهم حيث جدار الكهف تنعكس عليه ظلال الحقيقة التي تمر أمام الكهف، فهم يرون الظلال بينما الحقيقة خارج الكهف، و يظنون أن هذه الظلال هي الحقيقة، حدث مرة أن فك أحد السجناء و خرج من الكهف فاكتف النور الحقيقي فانبهر حتى يستطيع أن يرى الأشياء بوضوح، و عندما عاد لأصدقائه ليخبرهم ما رأى، و يقنعهم بأن ما يرونه ليس صحيح، ما عليهم الا قتلوه، لأنهم تعودوا على الظلال، فلا يريدون شمس الحق.

مضمون الأسطورة أن السجين هو الإنسان، والكهف هو العالم الحسي، والظلال هي المعرفة الحسية، أما شمس الحق فهي عالم المثل، أما السجين الفار فهو الفيلسوف الذي يستطيع أن يتجاوز عالم الحس ليدرك المثل، والأغلال هي رمز للجسد، أما الذي يقتل بعدما يبر بالحق، فهو إشارة لما

1- رمزي نجار" **الفلسفة العربية عبر التاريخ**" دار الأفاق، بيروت،ط1، 1977ص 25،26.

عومل به أستاذه سقراط عندما دعا إلى الحقيقة.(1)وللمثل صفات منها: هي الأسس الأولى للعالم، و ليست مادية بل معاني مجردة لها وجود مستقل عن كل عاقل، عامة و ليست خاصة، و كل مثال وحدة لا تتعدد و الذي يتعدد هو أفراده، فمثلا الجمال واحد و الإنسان واحد، و هي أبدية لا تفنى، تتصف بالكمال، لا يحدها زمان و لا مكان، و عقلانية، أي يتم استيعابها بالعقل.(2)

وقد ميز أفلاطون في نظرية المعرفة بين أربع درجات: الحس، الظن، الاستدلال، التعقل، أما **الحس:** لا يصلح أن يكون وسيلة للمعرفة، لأن الحواس تنقل إلينا عوارض الأجسام، والنظر إليه كمصدر للمعرفة فيه إنكار للعقل. والظن **أو الرأي:** لا يصلح للمعرفة لأن موضوعه المحسوسات المتغيرة وان كان أرقى من الحس إلا أن موضوعاته ناقصة غير معللة، فهو يتغير بتغير ظروف الشخص الحاكم وأحواله، ويحتمل الصدق أو الكذب. **والاستدلال:** أرقى من الظن وأقل من التعقل، لأن موضوعه غير حسي، كالأشكال الهندسية والمفاهيم الرياضية، فكلها موضوعات غير حسية. **والتعقل أو العلم:** هو أسمى درجات المعرفة وأرقاها، فموضوعه التصورات الفلسفية المجردة أو المثل العقلية كالعدالة والجمال والخير، فهو يطلب العلم الكامل والمعاني الكلية والصور المفارقة دون الاستعانة بالحواس،(3)وهو نوع من التذكر أو الحدس العقلي.

والطريق إلى التعقل هو المنهج الديالكتيكي (الجدلي)، وهو نوعان صاعد ونازل، ويكون

1-رمزي نجار، المرجع نفسه، ص30.

2-أحمد أمين وزكي نجيب محمود، المرجع نفسه، ص ص156-158.

3-عبد الرحمن مرحبا، المرجع نفسه، ص 124،125.

بالاستقراء أو القسمة، فالجدل الصاعد أو الاستقراء هو انتقال الذهن من الجزئيات إلى الكليات التي يشملها، حيث ينتقل الذهن من مدركات جزئية إلى الصفات العامة التي تشترك فيها، أي الماهية العامة، ثم يرتفع إلى ما هو أعم ومشترك بينها وهي المثل، بمعنى نوع من التذكر أو الحدس العقلي، فمثلا حب صورة جميلة أول خطوة في الحب، ثم حب النفس الجميلة (الجمال الروحي) ثم حب العلوم الجميلة، ثم مثال الجمال، ثم عالم المثل بأكمله، ثم الخير الأسمى(الله) بينما الجدل النازل أو القسمة الثنائية، هو النزول من المفاهيم العامة الكلية تدريجيا إلى الأفراد أو الجزئيات، انه الانتقال من أعم الأجناس ثم جنس الأجناس ثم الأنواع ثم الأفراد.(1)

3-النفس الإنسانية: ولأن الوجود عند أفلاطون ثنائية: عالم المثل وعالم الحس، فالإنسان أيضا ثنائية مؤلفة من جوهرين: جوهر النفس في عالم المثل وهو جوهر خالد، وجوهر البدن في عالم الحس و هو فان، والنفس ترتبط بعالم المثل فهي أزلية و أبدية تبقى خالدة بعد موت البدن، و يقسم النفس إلى ثلاث قوى:

-القوة الشهوانية: مركزها البطن، وهي ما يلتصق بالشهوات الجسدية الحسية ووظيفتها الغذاء والتكاثر، ولأنها تتحرك نحو مثال من الفضائل فان فضيلتها العفة.

-القوة الغضبية: مركزها القلب، تلتصق بالغريزة النبيلة والشريفة، تحافظ على مروءة الإنسان وتتحرك نحو فضيلة الشجاعة.

1- محمد عبد الرحمن مرحبا، المرجع نفسه،125

– القوة العاقلة: مركزها الدماغ أو الرأس، تلتصق بالتأمل والتفكير، وظيفتها السيطرة على القوة الشهوانية والغضبية، فضيلتها الحكمة.

ومثلما ترتيب الوجود عند أفلاطون من الأعلى إلى الأسفل من عالم المثل إلى عالم الحس كذلك قوى النفس أخسها القوة الشهوانية وأرفعها القوة العاقلة، ووظيفة العقل هو رسول عالم المثل، أن يسيطر على القوة الشهوانية والقوة الغضبية، لتكون سعادة الإنسان متوجهة نحو الخير المطلق. وكيف صارت النفس البشرية التي كانت في عالم المثل أسيرة العالم الحسي؟

يرى أفلاطون أن النفس الإنسانية كانت في عالم المثل مجردة من الجسم تتأمل و تفكر، و اكتسبت كل الحقائق و لما رغبت في أشياء عاقبها الله و أنزلها إلى العالم الحسي و ارتبطت بالجسم، نسيت ما اكتسبته في عالم المثل، لذلك تكون مهمتها أن تتخلص من البدن في عالم الحس لتعود و تسبح في عالم المثل، و ليس كل الناس يصلون إلى هذا لأن غالبا ما تتغلب الشهوات على العقل، فلا يصل الإنسان إلى الحقيقة(1) و المعرفة تذكريه (نظرة التذكر) فموضوعات العالم الحسي هي بمثابة منبهات تدفع النفس إلى استرجاع الحقائق التي اكتسبتها قبل نزولها إلى العالم الحسي. و يثبت أفلاطون خلود النفس بجملة من المبررات منها: تعاقب الأضداد، يثبت أن بعد الموت حياة، لأن الحياة تليها موت، النفس تدرك المثل، مما يثبت أنها كانت فوق و تعرف أن هناك ما هو أسمى من عالم الحس، وبالتالي خالدة، المعرفة تذكرية، فمعنى هذا أن النفس تتذكر المرحلة التي كانت فيها في عالم المثل، يتوقى الإنسان إلى السعادة و هي لا تتحقق في عالم الحس بل في عالم المثل، عالم الحس لا يكافئ الخير و

1–رمزي نجار، المرجع نفسه، 27،28ص

لا يعاقب الشرير، إذن هناك عالم أخر يتحقق فيه الجزاء، وهذه المبررات على خلود النفس جعلت أفلاطون يؤمن بتناسخ الأرواح، وهو يرى أن النفس تعود أكثر من مرة في أكثر من جسد حتى تتحكم القوة العاقلة على القوة الشهوانية والقوة الغضبية، فيستحق الإنسان الذي سيطرت قوته العاقلة أن تعود نفسه إلى عالم المثل الخالد.**(1)**

4-الأخلاق عند أفلاطون: لقد كانت أراء أفلاطون الأخلاقية كرد فعل للآراء السفسطائية الرافضة للقيم الأخلاقية، و اهتمامه بالأخلاق في وقت مبكر كان نتيجة اتصاله بسقراط الذي كان شغله الشاغل هو الأخلاق، ولابد من الإشارة إلى أن الأخلاق قبل سقراط كانت مجموعة من الحكم و النصائح أو أقوالا مأثورة تروى على ألسنة الشعراء و الحكماء، لكن مع سقراط اتضحت معالمها، فمع سقراط و السفسطائيين برز عنصر جديد في الأخلاق، هو المقابلة بين أخلاق المنفعة أو الغريزة والطبيعة و أخلاق المبدأ أو العقل و القانون، بين نسبية القيم الأخلاقية و بتغيرها بتغير الزمان والمكان و ظروف الفرد و بين ثباتها و إطلاقتيها، و عندما جاء أفلاطون انضم إلى رأي سقراط في حملته ضد السفسطائيين، غلبت على محاوراته الأخلاقية المبكرة روح أستاذه التي تميل إلى تقديس القيم والقوانين المتوارثة باعتبارها حقائق إلهية أزلية ثابتة ومطلقة، فهو يرى أن غاية الحياة الأولى هي التخلص من الجسد و وأد اللذات و إخماد الحياة الحسية نهائيا، فحياة اللذة هي مصدر للشقاء لأنها لا تقف عند حد معقول، بل تظل تطلب المزيد، و الحياة السعيدة تتوقف على انتصار العقل و الفلسفة على منطق القوة و اللذة، فالخير يكن في الخلاص من الجسد و استئصال و استئصال الشهوات والقضاء على الحياة

1-رمزي نجار، المرجع نفسه، ص28،29

الجنسية هذه النظرة المتزمتة نجدها محاوراته الأولى كمحاورة "فيدون" و "جورجياس" بينما في المحاورات المتأخرة كمحاورة "فيلابوس" لا يلغي الحياة الحسية بصفة كلية و إنما يقول بإخضاعها إلى العقل، فالحياة السعيدة هي التي تجمع بين العقل و اللذة بنسبة معينة و تكون الغلبة فيها للعقل، حيث يذكر في كتاب الجمهورية ثلاث فضائل تتناسب مع قوى النفس الثلاث: العفة هي فضيلة القوة الشهوانية، و الشجاعة هي فضيلة القوة الغضبية و الحكمة هي فضيلة القوة العاقلة، والفضيلة العليا المتمثلة في العدالة(الفضيلة الرابعة) تتحقق بتوفر الفضائل الثلاث و انتظام علاقتها ببعضها البعض، بحيث تخضع القوة الشهوانية للقوة الغضبية و هذه الأخيرة تخضع للقوة العاقلة، لأن العدالة هي إعطاء لكل ذي حق حقه، وبهذا الانسجام والتكامل تتحقق السعادة.

اذن في المحاورات المتأخرة لم يلغ أفلاطون الحياة الحسية إطلاقا، فلم يعد يفسر الخير بالفصل التام بين الحياة الحسية(حية الجسد) والحياة العقلية و إنما يقول بإخضاعها إلى العقل، وتنظيم العلاقة بينهما في حياة متوازنة.(1)**لكن هل مفهوم العدالة عند الفرد يختلف عن مفهومه في الدولة؟** لابد من الإشارة الى أن الفكر السياسي عند الفلاسفة اليونان كان متضمنا في أراءهم الأخلاقية.

5-الفكر السياسي عند أفلاطون: أحب أفلاطون السياسة منذ صغره، فهو طموح يشعر دائما بأن دم السياسة يجري في عروقه، و قد حاول أن يطبق آراءه السياسية في صقلية و أخفق في ذلك، و كتابه "الجمهورية " خير مثال على تعلقه بالسياسة، حيث رسم فيه معالم المدينة العادلة المستمدة من مبادئه الفلسفية، و هو يرى أن العدل في أساسه ناشئ من ضرورة الاجتماع، و لولا اجتماع الناس لما كنا

1-أميرة مطر حلمي، مرجع سابق "**الفلسفة اليونانية، تاريخها، مشكلاتها**" ص 207،208. .

تحدثنا عن العدالة بينهم، فلا الإنسان لا يكفي نفسه بنفسه، بل يحتاج إلى أن يجتمع بأمثاله لتأمين الحاجيات الضرورية، و تعدد الضروريات نتج عنه تقسيم العمل و تعدد المهن، هذا في المجتمعات البدائية، أما في المجتمعات المتحضرة فتكثر الحروب و يصبح المجتمع بحاجة إلى أكثر من العمل، فيكون بحاجة إلى من يحكمه و يدافع عنه، لذلك يقسم المجتمع في كتاب الجمهورية إلى ثلاث طبقات: طبقة العمال و الفلاحين أو الحرافيين (النحاسية) و طبقة الجنود(الفضية) و طبقة الفلاسفة الحكام (الذهبية) تشكل في مجملها المدينة الفاضلة، وهذه الطبقات تتناسب مع قوى النفس البشرية، فطبقة الفلاسفة الحكام تقابلها القوة العاقلة، و طبقة الجنود تقابلها القوة الغضبية و طبقة العمال تقابلها القوة الشهوانية، و مثلما الإنسان المثالي هو الذي تسيطر قوته العاقلة على قوتي الغضب و الشهوة، كذلك الدولة العادلة لكي تصير مثالية يجب أن تسيطر فيها طبقة الحكام على طبقة العمال و الجنود.**(1)**و يقول أفلاطون في كتاب "الجمهورية" على لسان سقراط بعد أن سأله "غلوكون" ففي أي هذه الأنواع الثلاثة(أي ثلاث خيرات: الرياضة البدنية، و احتمال المعالجة الطبية في حال المرض، الطبابة)؟ فأجاب سقراط" أظن أنها تدرج في أفضلها، أي أنها من الخيرات التي يقدرها من ينشد السعادة الحقيقية، فتراد لذاتها ولنتائجها."**(2)لكن كيف يتم توزع الأفراد على الطبقات الثلاث؟**

يرى أفلاطون أن هذا من واجب الدولة التي يقع على عاتقها فرز الطبقات بطريقة عادلة عن طريق التربية والتعليم، فالطبيعة هيئت البعض ليكونوا عمال والبعض ليكونوا جنود والبعض ليكونوا حكام فلاسفة، وهو يقول "إن الله مزج الذهب بجوهر الحكم والفضة بجوهر الجند والنحاس بجوهر العمل"

1-رمزي نجار، المرجع نفسه، ص 32،33.

2-أفلاطون "**الجمهورية** " ت/ حنا خباز مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، الطبعة الأولى 2017، ص51"

يؤمن أفلاطون بالشيوعية الجنسية و يزيل الأسرة، و عندما يولد الأطفال يجب أن يربوا بعيدا عن أهلهم، تتعهد هم الدولة منذ ولادتهم بفرزهم في الطبقات المناسبة، في سن السادسة عشر تدرسهم الدولة الرياضة البدنية و الموسيقى لتثقيف أرواحهم، و التنشئة الصحية(التغذية) و بعض الأدب من الشعر و النثر، لكن دون أساطير هوميروس، والدين و الأخلاق، و في سن العشرين تتوقف الدروس و يجرى لهم امتحان، و من يرسب فيه يلتحق بطبقة العمال، أما الناجح فيكمل دراسته حتى سن الثلاثين، حيث يدرس الرياضيات و يجري امتحان، الراسبون يلتحقون بطبقة الجنود، أما الناجح فيكمل دراسته خمس سنوات، حيث يدرس الفلسفة والجدل، ثم لمدة خمسة عشر سنة أصول الحكم، و يجري امتحان، فإذا نجح يصير رجلا كاملا يحكم نفسه و الآخرين و أما رسب فيوضع في طبقة الجنود برتبة عالية، فالرئاسة يجب أن تسند إلى النابغين من الفلاسفة الذين تجاوزوا سن الخمسين، فهم قادرون على إدارة كل شؤون الدولة بدقة، المرافق و الزواج و فرز الطبقات و التربية، و يكونون تحت النظام الأرستقراطي، أي حكم الأشرف الأفضل،**(1)** فهو يوحد بين الحكم و المعرفة.

قامت المدينة الفاضلة لأفلاطون على ثلاث ركائز: تجنيد المرأة وشيوعية النساء والأولاد، وحكومة الفلاسفة، والفيلسوف هو القانون الحق وحكمه حكم العدل، أما سائر الحكومات ليست سوى عصابات مجرمين وقطاع الطرق، و قد وضح أفلاطون مدينته الفاضلة بشرح أربع دول أو أنظمة تعاكسها، وهي: **الدولة التيمقراطية:** أي دولة الجاه و النفوذ، **و الدولة الأليغارشية:** أي حكم الإقطاع الحاكم بغناه المادي، **و الدولة الديمقراطية:** أو حكم الشعب الفوضوي دون رئيس أو موجه، **و الدولة الاستبدادية:** أو حكم الطغيان و الظلم و المصلحة الشخصية. ولكن هذه المدينة خيالية، مستحيلة

1-رمزي نجار المرجع نفسه، ص 34،33.

التحقيق على أرض الواقع لعدم توفر الفيلسوف المثالي كما وصفه، و حبذا لو عدل أفلاطون من أحلامه و اقتنع بحكومة أقرب إلى الواقع، و هي حكومة قائمة على دستور،**(1)** و قدر ارتكب أفلاطون خطئا فادحا عندما ألغى الأسرة، فعلماء النفس حاليا يرون أن الأسرة مؤسسة ضرورية لاستمرار المجتمع، فهي المؤسسة الطبيعية التي تميز النوع الإنساني عن النوع الحيواني، و هي وحدها التي تصون قيم المجتمع و تضمن استمرارها، و قد أدرك أفلاطون أهميتها، و أهمية الدستور في تسيير الدولة فتراجع عن رأيه في كتاب "القوانين"، في هذا الكتاب يرى أفلاطون أن الدولة ليست حربية، فخير الحالات السلم لا الحرب، و التغلب على العناصر الرديئة في النفس و في المدينة هي الغاية التي يجب على المشرع أن يتوخاها في وضع دستوره، و هو يقول في كتاب "القوانين" "إن هدف قوانيننا يجب أن تكون فيما يقال ليس الحب و لا السلم ككل، و مهما يكن من أمر الدستور الموجود فان القانون يجب أن يعمل لصالحه و في تأمينه الدائم ضد الفساد و التعفن" **(2)**و خير الحكومة هي الحكومة الأرستقراطية المقيدة بهيئات نيابية، تكفل التوازن بين السلطات المختلفة، و هي وسط بين الطغيان و الديمقراطية أو بين الدولة الاستبدادية و الدولة الديمقراطية، فكلاهما رديء بذاته، لكن المزج بينهما بالقدر الملائم ينتج نظام سياسي أمثل و عادل، و يعدل أفلاطون من التقسيم الطبقي في الجمهورية و يقدم قسمة ثلاثية أخرى: المواطنين و عبيدهم من جهة، و الصناع و الغرباء يحترفون التجارة من جهة

1--مصطفى غالب، مرجع سابق "**في سبيل الموسوعة الفلسفية**" ص 98،97. .

2-أفلاطون "**القوانين**" ترجمه من اليونانية إلى الإنجليزية د تيلور، ومن الإنجليزية إلى العربية حسين ظاظا. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1 1986، ص 222،221.

أخرى، وجيشا أهليا من جهة ثالثة، و يعدل من الشيوعية الجنسية، فهو يقر بضرورة الأسرة، لكنه يبقي على ضرورة تحديد النسل، لأنه يحتفظ بمدينته الصغيرة التي لا تتجاوز 5040 مواطن، و أساس اختيار العدد على أساس عملي هو تكونه بإكثار الأعداد الصحيحة المتتالية من 1 إلى 7 ، ومن ثم يكون قابلا للقسمة على كل عدد صحيح أقل من 10، مثلما هو قابل للقسمة على 12، و هو يقول "و أي فرد يعمل كمشرع يجب بالطبع على الأقل أن يكون على دراية كافية بالأعداد لكي يقيم أي عدد أو أي نوع من العدد سيثبت أنه الأنفع في مملكته بالذات، و بناء على ذلك سنختار العدد الذي يعطينا أكبر قدر من الأقسام التي يتلو بعضها الأخر في الحال و بالطبع كل سلسلة الأعداد الصحيحة تقبل القسمة إلى أي عدد و بأي خارج 5040، يمكن أن يقسم لأغراض حربية أو من أجل أن يتناسب أعباء و ترتيبات السلام، من حيث الضرائب التي تشجى، التوزيعات العامة التي ستجرى"**(1)**وهو يقر بالملكية لكنه يحث المالك على أن يعتبر ملكه ملك للمدينة كما هو خاص به، و يخص بقطعة أرض للأسرة لكنها لا تباع و لا تجزأ بل يورثها الأب لمن يختار من أبنائه، و يحدد سبع سلطات: حراس الدستور: و عددهم 37 يحافظون على الدستور و يحولون دون تعديله. القواد: وعددهم 3 يعينون الضباط لمختلف فرق الجيش. مجلس الشيوخ: وعددهم 36 يحكمون بالاتفاق مع حراس الدستور، يتداولون السلطة كل 30 منهم شهرا. الكهنة: يعنون بإقامة الطقوس وهياكل العبادات. الشرطة، وزير التربية: ينتخبه الشيوخ لمدة خمس سنوات، وأخيرا، المحاكم: وهي ثلاث، الأولى لفض الخلافات الشخصية وتؤلف من جيران المتخاصمين والثانية تستأنف إليها الخصومات التي تعجز المحكمة الأولى عن فضها، والثالثة للحكم

1-أفلاطون ، المصدر نفسه، ص 251..

في الجنح والجنايات.(2)

2-أرسطو:

أولا-التعريف بأرسطو و مؤلفاته: ولد أرسطوطاليس سنة 384 ق م في ستا جيرا م هي مستعمرة يونانية وميناء على ساحل تراقيا، وكان أبوه نيقوماخوس طبيب بلاط الملك المقدوني أمنيتاس الثاني أبي فيليب أبي الاسكندر، و من هنا جاء ارتباط أرسطو الشديد ببلاط مقدونيا الذي أثر الى حد كبير على حياته و مصيره، لازم أفلاطون عشرين سنة في أكاديميته، وتركها بعد وفاة أفلاطون، هاجم تعاليم أفلاطون بشدة و خاصة نظرية المثل، و رغم ذلك يشير إلى أنه صديق أفلاطون، غادر أثينا بعد وفاة أفلاطون بعد أن تلقى دعوى من فيليب ملك مقدونيا لكي يكون مربيا للإسكندر الشاب، الذي سيصبح فيما بعد قاهر العالم، و كان أنداك في سن الثالث عشر من عمره، وواصل تربيته لمدة خمس سنوات، ثم عاد إلى أثينا و هنا أنشأ مدرسة خاصة به في مكان يسمى" اللوقيون" و قد عرف أتباعه في السنوات التالية بالمشائين، و هو اسم جاء من عادة أرسطو المشي و هو يلقي محاضراته،(2)و مكث في أثينا ثلاثة عشر سنة ألف فيها مختلف كتاباته، و يقال أن أرسطو ألف أربعمائة كتاب، و ضاع أكثر من ثلاثة أرباع هذه الكتب، و لحسن الحظ بقي الجزء الأهم و الذي يمثل المذهب الأرسطي، و قد وصلت إلينا معظم كتاباته في حالة مبتورة، أظهر معرفته لحوالي خمسمائة نوع من الكائنات الحية في مؤلفاته، و بهذه المؤلفات عن الحيوانات يكون قد أسس علم الحيوان، مع العلم أنه لم يسبقه أحد لدراسة هذا

1--مصطفى غالب، المرجع نفسه، ص 100،101.

2-وولتر ستيس، مرجع سابق "**تاريخ الفلسفة اليونانية**" ص211.

الموضوع.(1)

أما بالنسبة لمؤلفاته، فقد اضطلع عليها و قام بإصلاح ما فسد منها أندرنيكوس الرودسي الزعيم الحادي عشر على اللوقيون، و أخرج للناس نسخا صحيحة في منتصف القرن الأول للميلاد،(2)و يمكن تصنيفها إلى:

-**مصنفات الشباب:** وقد ضاعت جميعها، وهي محاورات على طريقة أفلاطون في عهده الأخير منها: السياسي، السوفسطائي، منكسينوس، المأدبة، إسكندر، في العدالة، في الشعراء، في الصحة والتربية، في اللذة، أوديموس، في خلود النفس، وفي هذا الكتاب يرى البعض أنه نحا منحى أستاذه وأبان ضمنا أنه يقبل بفكرة تناسخ الأرواح والتذكر، وكتاب «في الفلسفة أو الخير" كتبه في الوقت الذي تحرر من تأثير أفلاطون.

-**مصنفات الكهولة:** بقي معظمها وهي خالية من أسلوب الحوار، لكنها لم تكن معدة للنشر، فهي مجرد مذكرات أجزاء منها فقط محررة تحريرا نهائيا، تتصف بصعوبة الأسلوب وافتقارها للشرح، ونشرها أندرنيقوس الروديسي، وهذه المؤلفات هي:

أ-الكتب المنطقية: المقولات، العبارة، التحليلات الأولى أو القياس، التحليلات الثانية أو البرهان، الجدل، الأغاليط، وضعها أندرنيكوس الرودسي في كتاب واحد هو "الأورغانون" Organoun

---

1-وولتر ستيس، المرجع نفسه، 213.

2-مصطفى غالب، المرجع نفسه، ص 24،25.

ويعني الآلة، أي المنطق آلة لجميع العلوم.

ب–الكتب الطبيعية: السماع الطبيعي، الكون والفساد، الآثار العلوية، النفس، الطبيعيات الصغرى، و هو مجموع لثمانية كتب صغيرة: الذكر و التذكر، النوم و اليقظة، تعبير الرؤيا، في الأحلام، طول العمر وقصره، الحياة والموت، التنفس، الشباب و الهرم، تاريخ الحيوان أعضاء الحيوان، تكوين الحيوان، مشي الحيوان، حركة الحيوان.

ج–الكتب الميتافيزيقية(أو ما بعد الطبيعة): يسمي أرسطو موضوعها بالعلم الإلهي، و هي كتاب الإلهيات و يعرف بما بعد الطبيعة، و يعرف عند المسلمين بكتاب الحروف، لأنه مرتب على ترتيب حروف اليونانيين(الألف، الباء.....الخ)

د–الكتب الخلقية والسياسية: الأخلاق النيقوماخية (أو الأخلاق إلى نيقوماخوس) الأخلاق الأوديمية، الأخلاق الكبرى، السياسة، النظم السياسية، وهي مجموعة من الدساتير لحوالي 158 مدينة يونانية، لم يصلنا منها سوى دستور أثينا، قول الحكماء في الموسيقى، كتاب المرأة، اختصار الأخلاق، تدبير المنزل، كتاب اللاهوت، المسائل، يتناول فيه مسائل من مختلف العلوم.

هـ–الكتب الفنية: كتاب الخطابة (ريطوريقا) والشعر.

ثانيا–مذهب أرسطو: يتسم مذهب أرسطو بالواقعية التي لا صلة لها بالخيال، خالف متقدميه من الفلاسفة و خاصة أستاذه أفلاطون الذي انتقده في أفكاره الماورائية و الطبيعية، حيث استنكر أشد الاستنكار نظرية المثل موردا الحجج القائلة بأن المادة جزء من المحسوسات، فلا يوجد إنسان إلا في لحم و عظم، و لا شجر إلا في مادة معينة، فكيف يمكن أن يوجد مثال للمربع أو المثلث، و الشكل

أي موجود مع الشيء لا بذاته، و كيف يمكن أن يوجد مثال للبياض أو السواد، في حين اللون لون شيء بالضرورة، أي موجود مع الشيء لا بذاته، فان كان هناك معاني هي ذهنية صرفة فما الذي يمنع أن توجد المعاني جميعا في العقل دون أن يقابلها مثل؟، في الحقيقة أن المحسوسات موجودة بكل معنى الكلمة، و أن المعاني الكلية موجودات ذهنية فحسب يجردها العقل من المحسوسات، و قد كان أسلوب أرسطي علمي صارم يعتمد على جمع الوقائع، و يظهر هذا جليا في أبحاثه عن الحيوانات.

و رغم هذا يعتقد بعض الباحثين و على رأسهم "وولتر ستيس" أن أرسطو كان أعظم الأفلاطونيين، لأن مذهبه لا يزال مؤسسا على المثال، و هو محاولة لتأسيس مثالية متحررة من نقائص مذهب أفلاطون، فمذهبه في الواقع تطور للأفلاطونية، فقد كان أفلاطون مؤسس المثالية و كانت مثاليته في نواح عديدة فجة لا تطاق، لذلك كانت رسالة أرسطو الخاصة هي إزالة الأمور الفجة و تطوير الأفلاطونية إلى فلسفة مقبولة، فقد استبدل فكرة المثل بفكرة الصورة.**(1)**

و في الحقيقة الاختلاف بين أرسطو و أفلاطون، يكمن في أن أرسطو يحب الحقائق و الوقائع و هدفه دائما المعرفة العلمية المحددة، بينما أفلاطون ليس لديه حب للحقائق و لا موهبة للأبحاث الفيزيائية، و ما يميز مذهب أفلاطون هو احتقاره لعالم الحس، فالحط من موضوعات الحس و اعتبار معرفتها بلا قيمة هو الصفة الأساسية في تفكير أفلاطون، غير أنه في مذهب أرسطو عالم الحس هو العالم الحقيقي، عالم الوقائع، حيث كان شغوفا إلى حد كبير بالوقائع و عادات الحيوانات مثلا كانت عنده مسألة جديرة بالبحث، و لابد من الإشارة هنا إلى أن الفيلسوف الإنجليزي "فرانسيس بيكون"

1-وولتر ستيس، المرجع نفسه، ص213،214.

صاحب "الأورغانون الجديد" قد أخطأ عندما اعتبر أرسطو يبحث في الوقائع "قبليا" أو عقليا دون استقراء الوقائع في الطبيعة، و في هذه الحالة يكون قد ظلم أرسطو، لأن بيكون كان منشغلا مع مفكرين آخرين في عصره في محاربة الفلسفة المدرسية التي كانت سائدة أنداك، و التي كانت تزعم أنها تمثل تعاليم أرسطو الحقة، و فعلا كان هؤلاء الفلاسفة المدرسيين قد نظروا "قبليا" و تجاهلوا الوقائع، و هنا يكون بيكون قد أخلط بين أرسطو و هؤلاء الأرسطيين المحدثين و نسب إليه أخطاء كانت في الحقيقة أخطاءهم، و في الحقيقة لم يكن هناك إنسان أكثر اهتماما بالوقائع مثل أرسطو، و خير دليل على ذلك أبحاثه عن الحيوانات التي اعتمد فيها على الاستقراء، و أدرك حاجة كل العلوم الطبيعية إلى هذا المنهج، لكن عندما يكون الأمر مستحيلا يلجأ العقل.**(1)**

والنقطة الثانية في الاختلاف بينهما، هو أن أفلاطون يعبر عن أفكاره الفلسفية بالأساطير والشعر، و قد أظهر ميلا غريزيا نحو التصوف، بينما أرسطو يبحث دائما عن المعرفة المحددة، و يرفض الأساطير و التشبيهات الشعرية التي تحل محل التفسير العقلاني.

والنقطة الثالثة، هو أن أرسطو لا يهتم بالزخرفة وبجماليات الأسلوب ويستبعدها تماما من عمله، والشيء الوحيد الذي يستهدفه هو المعنى، أي تكون الكلمات معبرة إلى درجة أن أسلوبه يبدو جافا و مباشرا و قبيحا، وما يفقده في الجمال يكسبه في الوضوح، بحيث يعد مؤسسا للغة الفلسفية التي لا تزال تستخدم حتى اليوم للتعبير عن أفكار الإنسان، لقد كتب بأسلوب علمي صارم، وميز بين مجال الفن و مجال العلم، و الحذر من الخلط بينهما، اقتحام أحدهما للأخر يقضي على كل منهما، فإذا أراد الإنسان

1-وولتر ستيس، المرجع نفسه ، ص214، 215.

الجميل عليه أن يسلك طريق الفن، و إذا أراد الحقيقة عليه أن يسلك طريق العقل.(1) و ينقسم مذهب أرسطو إلى ستة أقسام هي: المنطق، الميتافيزيقا، الفيزياء، النفس، الأخلاق، السياسة. وينقسم العلم عند أرسطو إلى: نظري وعملي، وذلك حسب الغاية التي ينتهي إليها، **فالعلم النظري** ينتهي إلى مجرد المعرفة لذاتها، وينظر إليه من ثلاث وجهات: من حيث هو متحرك محسوس، وهذا هو العلم الطبيعي، ومن حيث هو مقدار وعدد، هذا هو العلم الرياضي، ومن حيث هو وجود على الإطلاق، وهذا هو ما بعد الطبيعة(الميتافيزيقا) بينما العلم العملي يهدف إلى غاية متميزة هي تدبير الأفعال الإنسانية، وذلك إما في نفسها، وهذا هو **العلم العملي** بمعناه المحدد، وإما بالنسبة إلى موضوع يؤلف ويصنع، وهذا هو الفن، والعلم العملي يدبر أفعال الإنسان من حيث هو إنسان من ثلاث نواحي: في شخصه وهو موضوع الأخلاق، و في الأسرة و هو تدبير المنزل، و في الدولة و هو موضوع السياسة، و العلم النظري أشرف العلوم لأنه كمال العقل، و العقل أسمى قوى الإنسان، أن علم للعلم لا لأغراض أخرى تترتب عنها، و أشرف العلوم النظرية هي ما بعد الطبيعة و ذلك لسمو موضوعه و بعده عن المحسوس و التغير، و لابد من الإشارة إلى أن أرسطو لم يدرج المنطق ضمن أقسام العلم النظري لأن موضوع ليس وجوديا و إنما ذهني، فهو علم قوانين الفكر بغض النظر موضوع الفكر، فهو علم يدرس قبل الخوض في أي علم، فمن غي الصحيح أن نطلب العلم و منهج العلم في أن واحد، فهو آلة لجميع العلوم.(2)

ثالثا-المنطق: لا نستطيع أن نتحدث عن المنطق الأرسطي دون أن نشير إلى التمييز المعروف بين

1-وولتر ستيس، المرجع نفسه ، ص215،216.

2-يوسف كرم، مرجع سابق "**تاريخ الفلسفة اليونانية**" ص145.

الاستدلال الاستنباطي أو الاستنتاجي والاستدلال الاستقرائي، وقد اعترف أرسطو بالاستقراء واستخدمه في أبحاثه عن الحيوانات، لكنه لم يضع له كتابا خاصا، لهذا اسمه يقترن بصفة خاصة بالمنطق الاستنباطي أو المنطق الصوري الذي هو مؤسسه.**(1)** والمنطق هو مجموعة من القوانين العقلية التي تعصم الذهن من الوقوع في الخطأ و تميز صحيح الفكر من فاسده، فموضوعه قوانين الفكر، فإذا كانت سلامة اللغة تتوقف على جملة من القواعد هي قواعد النحو، فان سلامة التفكير مرهون بالالتزام بجملة من القواعد هي المنطق.

لابد من الإشارة إلى أن لفظ المنطق أو "لوجيكا" لم يرد في كتب أرسطو وإنما استخدم لفظ "العلم التحليلي" أي العلم الذي يحلل العلم إلى مبادئه، وقد ورد هذا المصطلح في عهد سيشرون بمعنى الجدل، إلى أن استعمله أحد شراح أرسطو وهو الاسكندر الأفروديسي بمعنى المنطق، فقد قام شراح أرسطو بتنظيم و ترتيب كل مؤلفاته المنطقية و هي ستة و التي سنذكرها فيما بعد ووضعت تحت عنوان "الأورغانون أو آلة العلم" و أخذت كلمة المنطق بمعناها الحديث بعد حوالي 500 سنة،**(2)**وموضوع المنطق أفعال العقل من حيث الصحة والصواب، و لما كانت أفعال العقل ثلاثة: التصور الساذج، الحكم أو تركيب التصورات، الاستدلال، فقد جاءت كتب المنطق مقسمة إلى ثلاثة أقسام: كتاب المقولات يدور حول الأمور المتصورة تصورا ساذجا، و المقولات العشر التي وضعها في

1-وولتر ستيس، المرجع نفسه، ص216.

2-محمود محمد علي "**الأورغانون الجديد أول كتاب علم البشرية التفكير العلمي**" ط 1 2021 الرابط Noor-book.com ص6.

هذا الكتاب هي: الجوهر(مثل رجل) الكمية(مثل 4 أشبار) و الكيف(مثل أبيض) الإضافة(مثل نصف) المكان(مثل السوق) الزمان(مثل الأمس) الوضع (مثل جالس) الملك(مثل حمل السلاح) و الفعل (مثل القطع)و الانفعال(مثل مقطوع) و المقولات في أساسها محمولات و هي أوائل المحمولات و أجناسها العليا، و لم يذكر المبدأ الذي اعتمد عليه في جمعها، و قد رأى بعض الباحثين أنه جمعها جمعا تجريبيا. وكتاب العبارة في الأقوال المؤلفة، في هذا الكتاب ينظر في الأصوات الدالة بالجمال، ثم في الاسم والفعل و الأداة و ينتقل إلى العبارة أو القضية و يقسمها إلى بسيطة و مركبة، وموجبة و سالبة، صادقة و موجبة، ثم تقابل القضايا البسيطة و قوانينه(التناقض، التضاد، تحت التضاد، التداخل) وكتاب التحليلات الأولى في الاستدلال على العموم، و يتحدث فيه عن القياس و أشكاله الثلاثة و أضربه، و القياس قول مؤلف من أقوال متى وضعت لزم عنها بذاتها لا بالعرض قول أخر غيرها اضطرارا، و كتب ثلاثة كتب أخرى، و هي: في التحليلات الثانية أو البرهان و موضوعه النظر في القياس المنتج لليقين و كيف يجب أن تكون مقدماته منتجة لليقين، و الثاني في الجدل و هو استدلال على وجه الاحتمال يستعمل في الخطابة بنوع خاص، و قد يكون قياس أو استقراء و يتضمن الكتاب أيضا عكس القضايا، و الثالث في الأغاليط أو السفسطة و موضوعه الأقيسة الفاسدة التي لا تفيد الحق و إنما مغالطة الآخرين، أما بالنسبة للمنطق الاستقرائي أو المادي لم يغفله أرسطو كما يعتقد البعض و كل ما في الأمر أن أرسطو لم يجمعه في كتاب واحد، فقوانين الاستقراء كانت معروفة، حضور العلة يصاحبه غياب المعلول و غيابها يصاحبه غياب المعلول، فكل ما تحدث عنه "جان ستوارت ميل" حول المنطق الاستقرائي كان معروفا عند أرسطو،**(1)** و قد ميز أرسطو بين الاستقراء و

1-يوسف كرم، المرجع نفسه، ص ص147-158.

القياس حيث قال "الاستقراء أبين من القياس بالإضافة إلينا، لأنه يبدأ بالجزئيات أما القياس فأبين بالذات، لأنه يبدأ من الكليات فيبين علة النتيجة من أجل ما شوهد في الجزئيات و الحد الأوسط فيه أوسط من حيث الشكل فقط، لأن الاستقراء يضيف الأكبر للأوسط بالأصغر"**(1)**

رابعا-الميتافيزيقا: إن المبحث الذي يحمل اسم "الميتافيزيقا" لم يكن يحمل هذا الاسم أصلا، فقد استعمل أرسطو عبارة "الفلسفة الأولى" ويعني بها المبادئ الأولى للكون أو أشد هذه المبادئ سموا أو أشدها عمومية، فجميع العلوم تتناول مجالا محددا من الوجود، غير أن موضوع الفلسفة الأولى هو "الوجود بما هو موجود"**(2)** ونظرية أرسطو الميتافيزيقية تبدأ من جدله ضد نظرية المثل الأفلاطونية. لأن مذهبه هو محاولة للتغلب على أشكال القصور التي وقع فيها أفلاطون، والقصور الذي وقع فيه أفلاطون هو كالتالي:

1-إن نظرية أفلاطون لم تشرح لنا علاقة المثل بالأشياء، فهي تقول أن الأشياء هي "نسخ" من المثل و "تشارك" فيها، و لكن كيف نفهم هذه المشاركة، و لم تفسر لنا كيفية خلق العالم، مع أنها أهم مشكلة في الفلسفة، فاذا كان هناك مثال للبياض، فكيف نشأت عنه الأشياء البيضاء؟ لذلك يرى أرسطو أن أفلاطون يستخدم هذه العبارات كمجرد تشبيهات شعرية.

2-حتى وان استطعنا شرح بالمثل، فانه لا يمكن شرح حركتها، فلو افترضنا أن مثال البياض ينتج الأشياء البيضاء ومثال الجمال ينتج الأشياء الجميلة، فانه يبقى أنه لما كانت المثل ثابتة غير متحركة

1-يوسف كرم، المرجع نفسه، ص 155، مأخوذ من التحليلات الأولى م 3 ف2 وهو الخاص بالاستقراء.

2-وولتر ستيس، المرجع نفسه، ص 218،217

في حركة دائمة، وحياة وصيرورة، إذن أفلاطون لم يبذل جهدا لتفسير صيرورة وحركة هذا العالم. يترتب عن ذلك أن العلم سيكون ساكنا، باعتباره نسخة منها، غير أن الواقع يثبت أن العالم متغير وهو

3-الكون يتكون من عدد كثير من الأشياء ومهمة الفلسفة هو شرح سبب وجودها، لكن فلسفة أفلاطون لم تفسر لنا سبب هذه الكثرة، وما يقابلها في عالم المثل، لذلك يشبهه أرسطو بالرجل العاجز عن العد.

4-اعتقد أفلاطون أن مبدأ لا حسيا ما يخطر على باله لشرح عالم الحس، ولما كان عاجزا أخذ

موضوعات الحس وسماها لا حسية، وفي الحقيقة لا يوجد اختلاف بين الحصان ومثال الحصان، والإنسان ومثال الإنسان، والمثل ليست سوى موضوعات للحس "مأقنمة" فهي بتشبيه أرسطو ألهه مشخصة في الديانة الشعبية، وبوصف هذه الآلهة ليست سوى أناس مؤلهين، فان المثل ليست سوى أشياء الطبيعة وقد تم إضفاء عليها الخلود، ويقول أفلاطون أن الأشياء نسخ للمثل لكن في الحقيقة المثل نسخ للأشياء.

5-إن نظرية المثل تقوم على أن المثل هي ماهيات الأشياء، غير أنها تضع هذه الماهيات خارج الأشياء نفسها، وكما هو معروف ماهية الشيء يجب أن تكون فيه لا خارجه، غير أن أفلاطون يفصل المثل عن الأشياء، ويضع المثل في عالم مفارق غامض خاص بها، وكما أن المثال باعتباره كليا لا يمكن أن يوجد إلا في الجزئي، فمن الممكن القول أن الحقيقة في كل الجياد هي الجواد الكلي، لكن الجواد الكلي لا يوجد مستقلا عن الجياد الفردية، و بذلك يكون كلام أفلاطون مجرد لغو، فهل يوجد بجانب الأشياء البيضاء شيء اسمه البياض؟ وهذا هو ذروة التناقص في نظرية المثل.**(1)**من هذا

1-وولتر ستيس، المرجع نفسه، ص ص218-220.

الاعتراض تبدأ فلسفة أرسطو، وهو ينطلق من مبدأ أساسي هو أن الكلي هو الحقيقة المطلقة الثابتة، لكن الكلي لا يوجد إلا في الجزئي، فما هي الحقيقة؟ و ما هو الجوهر؟

الجوهر عند أرسطو هو ما له وجود مستقل خاص به، أو هو ما لا يكون محمولا أو صفة، بل هو الذي يلحق به كل محمول، مثل "البرتقال لذيذ" البرتقال هو الموضوع أو الجوهر و "لذيذ" محمول، وصفة لذيذ متوقفة على البرتقال،و يقول أرسطو في كتاب "ما بعد الطبيعة" "إلا أن الجوهر أول جميع الأشياء بالكلمة و بالمعرفة والزمان، فانه ليس شيء من المحمولات مفارقا و هذا وحده مفارق و هو أيضا أولا بالكلمة، فانه مضطر أن تكون كلمة الجوهر في كل واحد من الأشياء"**(1)** نتساءل مرة أخرى: هل الكليات كما يقول أفلاطون جواهر؟

يجيب أرسطو، الكلي وحده ليس جوهرا، وكذلك الجزئي وحده ليس جوهرا، إن كلا منهما لا يستطيع أن يوجد بمعزل عن الأخر، فالجوهر يجب أن يكون مركبا من الاثنين، فيجب أن يكون الكلي في الجزئي، فنحن نقول الذهب ثقيل وأصفر ويتمدد بالحرارة، غير أن الثقل والصفرة والتمدد بالحرارة لا يمكن أن توجد بمعزل عن الذهب، وفي نفس الوقت لا يمكن للذهب أن يوجد بدون هذه الصفات، فإذا نزعنا الصفات نجد عقولنا صفحة بيضاء، فبنزع الصفات ننزع الذهب نفسه. **(2)**حيث يقول أرسطو" وأما بحسب الضروري و ما أظن فيها بحسبه هل أنواع الجواهر مختلطة، فالضروري أن تكون أنواع مفردة،

.1-أرسطوطاليس"**ما بعد الطبيعة**" دار القفار، اللاذقية، الطبعة الأولى 2008، ص129.

2-وولتر ستيس، المرجع نفسه، ص 221.

لأن حصرها ليس بطريق العرض فمن الضروري أن يكون كل واحد منها في نفسه حاصرا."(1)

والتطور اللاحق في ميتافيزيقا أرسطو متوقف على نظرته للعلية، ومفهومها عند أرسطو أكثر اتساعا من مفهومها الحديث، وهناك اختلاف بين العلة والسبب، فالعلة لا تعطي سببا معقولا للشيء ومن ثم لا تفسره، فمثلا الموت ينتج عن الحادثة أو المرض، لكن هذه العلل لا تفسر السبب الذي يحدث الموت أصلا في العالم، ومفهوم أرسطو للعلة يرتبط بالعلل الأربعة:

1-العلل الأربعة: يرى أرسطو أن هناك أربعة أنواع من العلل: العلة المادية والصورية والفاعلة و الغائية، و هذه العلل الأربعة يجب أن تكون ماثلة في كل حالة من حالات الوجود أو إنتاج شيء من الأشياء، فهي تعمل في وقت واحد و موجود في إنتاج إنساني أو كوني، بمعنى موجودة في المواد التي صنعتها يد الإنسان، وفي إنتاج الأشياء الطبيعية، فالعلة المادية في الإنتاج البشري لشيء من الأشياء هي الهيولى، و هي المادة الخام التي تصير هي الشيء، فمثلا في تمثال الأمير عبد القادر مادة البرونز هي العلة المادية، و العلة الفاعلة يحددها أرسطو بأنها علة الحركة، فهي الطاقة أو القوة المحركة المطلوبة لإحداث التغير، و مفهوم الحركة عنده هو مفهوم عام، فلا تعني مجرد تغير في المكان بل تعني التغير من أي نوع، فمثلا تغير الورقة من لون أبيض إلى أصفر هو تغير في الحركة بنفس المعنى سقوط حجر من الحجارة، إذن العلة الفاعلة هي علة كل تغير، فالذي حول البرونز إلى تمثال هو النحات، فالذي أنتج التغير هو النحات، أي هو العلة الفاعلة للتمثال. والعلة الصورية هي المفهوم و هي كما يسميها أفلاطون مثالا لشيء، وهكذا تعود مثل أفلاطون في الظهور عند أرسطو

1-أرسطوطاليس ، المصدر نفسه، ص22.

إلى علل صورية، فالعلة الصورية في تمثال الأمير عبد القادر هي صورته كفكرة موجودة في ذهن النحات. و العلة الغائية، هي النهاية أو الغرض أو الهدف الذي تستهدفه الحركة، فالعلة الغائية للتمثال التي يستهدفها النحات هو التمثال المكتمل نفسه،**(1)** و للتوضيح أكثر العلة المادية للكرسي هو الخشب و العلة الصورية هي صورة أو فكرة الكرسي و العلة الفاعلة هو النجار الذي حول الخشب إلى كرسي والعلة الغائية هي الجلوس، و هذا المفهوم للعلية أكثر اتساعا من المفهوم الحديث، فتعريف الإنجليزي" جان ستوارت ميل" للعلية هو " العلية هي الحد السابق غي المتغير و اللامشروط للظاهرة" و هذا التعريف يستبعد العلة الغائية، لأنها تمثل النهاية وليست حدا سابقا، و يستبعد كذلك العلة الصورية، لأننا لا نفكر الآن في مفهوم الشيء باعتباره جزءا من علته، و يبقي فقط على العلتين المادية والفاعلة، إضافة إلى أن العلة الفاعلة عند أرسطو أوسع من مفهومها الحديث، فبالرغم أن العلة الفاعلة هي الطاقة التي تنتج الحركة إلا أن العلم الحديث يعتبرها طاقة آلية خالصة، بينما أرسطو يعتبرها يجعلها قوة مثالية تعمل من البداية إلى النهاية، و في الأصل العلم الحديث لا ينكر العلتين الصورية و الغائية بل يعتبرهما خارج مجاله، فمجال العلم هو العلل الآلية و يترك العلتين الصورية و الغائية للفيلسوف، و بوصف نظرية أرسطو باعتبارها فلسفة أكثر منها علما تشمل كل من المبادئ الآلية و الغائية.**(1)**و قد أشار أرسطو في المقالة الأولى من كتاب "الميتافيزيقا" إلى أن الأيونيين قد سبقوه في إدراك العلة المادية بداية من طاليس في بحثه عن المادة الأولى للكون و لكنهم لم يدركوا العلة الفاعلة ما عدا أمباذوقليس،

1- وولتر ستيس، المرجع نفسه ص 223.

2- المرجع نفسه، ص224.

الذي قال بالحب و الكراهية كقوة فاعلة، و انكساجوراس الذي قال بالعقل كقوة محركة للعالم، و كان أفلاطون أول من أدرك العلة الصورية، لأن العلل الصورية كما أشرنا سابقا هي نفسها مثل أفلاطون، غير أن فلسفة أفلاطون لا تتضمن سوى علتين من العلل الأربعة، هما: العلة المادية و العلة الصورية، لقد جعل كل الأشياء من المادة والمثل، و مادامت المثل لا تقوم على مبدأ الحركة فان فلسفة أفلاطون لا تتضمن العلة الفاعلة، أما بالنسبة للعلة الغائية، فان لديه فكرة غامضة و هي كل الأشياء من أجل "الخير".**(1)**و الخطوة الموالية في ميتافيزيقا أرسطو هي رد هذه العلل الأربعة إلى مبدأين هما:

2-الهيولى والصورة: يرى أرسطو أن كل الأجسام الطبيعية مركبة من مبدأين: الهيولى و الصورة، الهيولى هي مادة أولى غير معينة أصلا و بها تشترك الأجسام في كونها أجساما، أما الصورة هي المبدأ الذي يعين الهيولى و يكسبها ماهية خاصة و يجعلها شيئا محددا، إنها المثال الأفلاطوني أنزله أرسطو من السماء و رده إلى الأشياء فصارت حقائق بعد أن كانت عند أفلاطون أشباحا، إن الهيولى قوة صرفة لا يمكن أن تدرك في ذاتها منفصلة عن الصورة، و لا يمكن تصور هيولى بدون صورة، و الصورة كمال أول للصورة، فتكون الهيولى بالقوة و الصورة تعطي وجود بالفعل للهيولى، فالهيولى بمثابة الخشب قبل أن يصنع منه شيء، فتكون الصورة بمثابة الشكل الذي يعطي للخشب، فيصير تمثالا أو آلة من الآلات، ما عدا الصور المفارقة هي وحدها يمكن أن توجد بدون هيولى مثل صورة الله و العقول التي تدبر الكواكب و حركتها.**(2)**

1-وولتر ستيس، المرجع نفسه، ص 226.

2-عبد الرحمن مرحبا، مرجع سابق "**من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة الإسلامية**" ص198.

و مثلما ذكرنا سابقا، أرسطو يدمج ثلاثة علل في علة واحدة، فالعلة الغائية و العلة الصورية شيء واحد، لأن أولا: العلة الصورية هي الماهية أو المفهوم أو فكرة الشيء، و العلة الغائية هي تحقق فكرة الشيء في الواقع، بمعنى ما يهدف إليه الشيء هو التعبير المحدد لصورته، إذن العلة الغائية هي نفسها العلة الصورية، و ثانيا: العلة الفاعلة هي نفسها الغائية، لأن العلة الفاعلة هي سبب الصيرورة، و العلة الغائية هي نهاية الصيرورة أو ما يضير إليه الشيء، و لأن مسعى الأشياء كلها نحو النهاية، إذن الغاية و النهاية نفسها علة الحركة والصيرورة، و عليه العلة الغائية هي العلة الفاعلة الحقيقية.(1) فمثلا الغاية النهائية التي تسعى إليها بذرة الزيتون هي الزيتون، و الزيتون هو علة نمو بذرة الزيتون و التي تتمثل أساسا في حركة تجذب بذرة الزيتون نحو غايتها و هي ثمار الزيتون، و يمكن أن نقدم مثال أخر عن المنتجات الإنسانية، فالعلة الفاعلة للتمثال هو النحات، فهو الذي يحرك النحاس، و لكن ما يحرك النحات و يجعله يشتغل على النحاس هو فكرة التمثال المكتمل في عمله(العلة الصورية و الغائية) فالعلة الغائية هي العلة النهائية و الحقيقية للحركة، و هكذا نجد ثلاثة علل هي: العلة الصورية، الفاعلة، الغائية تنصهر في علة واحدة هي العلة الصورية،(2) و تبقى العلة المادية التي تمثل الهيولى و هكذا نكون أمام مقولتين رئيسيتين في فلسفة أرسطو: الهيولى و الصورة يفسر بهما كل ظواهر الكون، فهما مفهومان منفصلان في الذهن لكنهما متصلان في الواقع، و يمكن تشبيههما بالمادة و شكل الشيء، فلا توجد أشياء بلا أشكال و لا أشكال بلا أشياء، غير أن تصور أرسطو للهيولى هو تصور

1-وولتر ستيس، المرجع نفسه، ص 227.

2-المرجع نفسه، ص 227.

نسبي، فالشيء من ناحية هو هيولى و من ناحية أخرى صورة، و في كل تغير تكون الهيولى هي ذلك الذي يصبح أو الذي يطرأ عليه التغير، و الصورة ما يحدث التغير من أجله، فالخشب هو هيولى إذا نظرنا إليه من ناحية علاقته بالسرير، لأنه هو الذي يصبح سريرا، غير أن الخشب هو صورة إذا نظرنا إليه في علاقته بالنبات النامي، لأنه هو الذي يصبح عليه النبات، و شجرة البلوط هي صورة لبذرة البلوط، لكنها في الوقت نفسه هي هيولى الأثاث المصنوع من البلوط، إذن الهيولى و الصورة مصطلحان نسبيان.**(1)**

إن الهيولى حسب أرسطو هي إمكانية كل شيء وان كانت هي في الواقع ليست شيئا، ولا تصبح شيئا إلا بإحرازها للصورة، وهذا يؤدي بنا إلى مصطلحان هامان عند أرسطو هما:

3-الوجود بالقوة والوجود بالفعل: القوة هي نفسها الهيولى والفعل هو الصورة، فالموجود إما أن يكون بالقوة وإما بالفعل، فالهيولي هي كل شيء بالإمكانية أو القوة و قد تصبح أي شيء بالفعل، فهي قوة الفعل متقدم على الصورة، بينما الصورة مبدأ أول للوجود لأنه فعل، و الفعل تمام القوة وكمالها، و القوة نقص بالنسبة للفعل، و نسبة الفعل إلى القوة كنسبة الفعل التام إلى الفعل غير التام أو كنسبة الكرسي إلى الخشب، حيث يرى أرسطو أن هناك حركة ديناميكية في الوجود تتمثل في استمرار خروج الأشياء و تحولها من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل، فالأشياء تتحول من الوجود بالقوة بتأثير شيء يكون بالفعل، و ما يسميه فعل هو في الحقيقة حركة وعمل.**(2)**

1- المرجع نفسه، ص 228،229.

2-مصطفى غالب، مرجع سابق "**الموسوعة الفلسفية**" الجزء 7، ص53،54. .

ويقول أرسطو في كتاب "ما بعد الطبيعة" "فان الأول بالقوة هو الذي له قوة في إمكان الفعل مثل البناء، فانه الذي يقوى أن يبني والبصري الذي له قوة أن يرى والمبصر هو الذي له قوة أن يبصر"**(1)**

ابتكر أرسطو هذين المصطلحين لحل المشكلة القديمة الخاصة بالصيرورة، وهو لغز طرحته المدرسة الايلية: كيف تكون الصيرورة ممكنة؟ إن الانتقال من الوجود إلى الوجود ليس صيرورة، لأنه لا يتضمن أي تغير، والانتقال من اللاوجود إلى الوجود مستحيل، لأنه لا يمكن أن يأتي شيء من العدم، بينما أرسطو رأى أنه لا يوجد حدا فاصلا بين الوجود واللاوجود، فأحل محل هذه المصطلحات المطلقة مصطلحين نسبيين هما: القوة والفعل وهما متداخلان مليئان بالظلال.**(2)**والقوة في فلسفته تحل محل اللاوجود في المذاهب السابقة وهي تحل اللغز لأنها ليست وجودا مطلقا، فهي لا وجود بقدر ما هي شيء بالفعل، غير أنها وجود بالقوة والإمكان، لهذا الحركة والصيرورة لا تتضمن التحول والحركة المستحيلة من العدم إلى الشيء(الوجود) وإنما تتضمن التحول من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل، وبالتالي فان كل تغير وكل حركة هي انتقال القوة إلى الفعل، انتقال الهيولى إلى الصورة، ومن حيث الترتيب الزمني الهيولى التي هي الوجود الشامل المتكامل سابقة عن الصورة،ولكن من الناحية الفكرية الأمر معكوس، لأننا عندما نقول، أن الهيولى هي إمكانية ما ستصبح عليه، فان ما ستصبح عليه ماثل من قبل في مثالنا، و ذلك بالإمكان وليس بالفعل، فشجرة الزيتون قائمة في بذرة الزيتون على نحو مثالي، و لما كانت كل صيرورة هي نحو غاية، و لا تحدث إلا من أجل غاية، فان الغاية هي العلة

1-أرسطو طاليس، مصدر سابق" **ما بعد الطبيعة**" ص186..

2-وولتر ستيس، المرجع نفسه، ص 231.

الحقيقية للصيرورة، فالحركة تجذب بقوة جذب مثالية تجذب الشيء نحو غايته، فالغاية هي التي تمارس هذه القوة، لذلك يجب أن تكون الغاية ماثلة منذ البداية، فمادامت الغاية علة الحركة و العلة من الناحية المنطقية سابقة للنتيجة، و علية فالغاية أو الصورة هي المبدأ الأول و المطلق في الفكر و الواقع وان كانت الأخيرة في الزمن.(1) لكن ما هو المبدأ الأول الذي يصدر عنه الكون؟ و ما هي الحقيقة المطلقة عند أرسطو؟

4-الألوهية عند أرسطو: إن الولوج إلى موضوع الألوهية عند أرسطو يرتبط بنظرته للزمان والحركة، فهو يرى أن الزمان أزلي أبدي لا بداية له ولا نهاية، لأن كل لحظة منه لها قبل وبعد، فكلما تصورنا لحظة تصورنا قبلها وتصورنا بعدها، فالأنات إذن لا بداية ولا نهاية لها في الأزل والأبد، والزمان مقياس، فإذا كان الزمان أزليا أبديا فان الحركة التي تقيسه هي أيضا أزلية، و العالم متغير، و كل تغير يحدث لتحقيق الكمال و الوصول إلى الأفضل، و العلة الغائية هي الكمال الذي يتجه إليه كل معلول، و هذا التغير يحتاج إلى علة خارج المعلولات، فكل متحرك لابد له من محرك، وهذا المحرك لابد له من محرك، وهكذا دواليك، و التسلسل إلى غير نهاية مستحيل فلابد من التوقف عند محرك أول هو الله علة كل الحركة و لا علة له، فهو المحرك الأول أو علة العلل. والمحرك الأول لا يتحرك، فهو يمد الحركة لكل الموجودات لكنه لا يتحرك، لأنه لو تحرك لافتقر إلى محرك، ولافتقر المحرك إلى محرك، ويتسلسل الأمر، فلابد أن ينقطع التسلسل، وإذا كانت الحركة أزلية لا نهاية لها، فلابد أن يكون المحرك الأول لا نهاية له لقوته، وهو أزلي أبدي لأن الحركة في الكون لا نهاية لها، وهو صورة محضة لأن

1-وولتر ستيس، المرجع نفسه، ص231،232.

نقص وهو منزه عن النقص، وعلة ذاته، وهو العلة الغائية التي تتوجه إليها الأشياء والتي الهيولى تحركها جميعا دون أن تتحرك، وهو عقل خالص، يتأمل ذاته ويفكر وحدها، لأن التفكير في موضوع لا يليق بالكائن المطلق.**(1)** و هو دليل الحركة و المحرك الأول* الذي نجده عند الفلاسفة المسلمين و عند التيار الأرسطوطاليسي من فلاسفة العصور الوسطى أمثال توما الاكويني*، أخذه من كتاب" السماع الطبيعي" لأرسطو، و عرضه في "الخلاصة ضد الكفار" و يفصله في "الخلاصة اللاهوتية"**(2)**و الله باعتباره العلة الصورية هو المثال، انه الفكر، فهو الصورة المطلقة، ليست صورة الهيولى بل صورة الصورة، و هيولاه إذا جاز لنا القول صورة، و الصورة باعتبارها الكل هي الفكر، لهذا يعرفه "بأنه فكر الفكر" و الله باعتباره العلة الغائية، هو الغاية المطلقة التي تسعى إليها كل الموجودات، وباعتباره علة فاعلة، هو العلة المطلقة للحركة والصيرورة، لكن كيف إذا كان الله فكر محض، فكيف يعلم ما يجري في العالم؟

ينفي أرسطو علم الله بالعالم لأن في ذلك سقوطا وإخلالا بالنزاهة الإلهية، فلا يليق أن يعلم الله العالم وهو أقل منه، فهو لا يعلم ما دونه وإلا كان ناقصا، لأن شرف العلم يكون بشرف المعلوم وأشرف معلوم هو الخير الأعلى والذات المطلقة والفعل الخالص، فإذا علم شيء غيره لحقه ودنسه و

1-عبد الرحمن مرحبا، المرجع نفسه، ص ص 198-201.

*-مع العلم أن هناك أدلة أخرى كدليل العلية ودليل التدرج في الكمال ودليل النظام تناولها في كتاب ما بعد الطبيعة.

*-توما الاكويني(124-1276م): فيلسوف مسيحي ولد بروكاسيكا بإيطاليا، حاول التوفيق بين فلسفة أرسطو و العقيدة المسيحية، من أهم مؤلفاته: الخلاصة ضد الكفار، و الخلاصة اللاهوتية.

2-عبد الرحمن بدوي" **فلسفة العصور الوسطى**" مكتبة النهضة المصرية، مصر ط2، 1969.ص141.

فسد بفساده وصار ناقصا مثله، فخيرا له ألا يعلمه.(3)غير أن السؤال الذي يطرح نفسه: إذا كان الله لا يعلم العالم فكيف يحركه؟

يرى أرسطو أن الله لا يحرك العالم إلا بوصفه الغاية النهائية، فهو ليس علة آلية أولى تكون قبل العالم، إنها علة غائية تعمل من الغاية على نحو سابق منطقيا،(2) فالله يحرك العالم على سبيل الشوق، فمادامت الهيولى تعشق الصورة و تطلبها و تشتاق إليها، فهي بذاتها إمكانية محضة لا تتحقق إلا بعد تحصيل الصورة، و هذا العشق المستمر من جانب الهيولى هو الحركة، فالصورة هنا علة الحركة، و هذا الأمر ينطبق على تحريك الله للعالم، فالله باعتباره عقلا محضا و صورة محضة و خيرا محضا، فهو علة غائية للكون تشتاق إليها الهيولى و هذا الشوق مصدر حركتها، و بهذا يكون الله هو المعشوق الأول الذي تنجذب إليه جميع الكائنات و تطلبه، فتأثير الله في العالم ليس أكثر من تأثير صورة يعشقها محبوبها، فهو لا يؤثر فيه إلا باعتباره علة غائية فقط، أي بجماله و جاذبيته، و لا عناية له للكون و لا تدبير، فالله لا يتصل بالعالم لا من جهة الخلق و لا من جهة التدبير.(3) لكن هل اله أرسطو شخصا؟

لن نستطيع أن نصدر حكما قطعيا في هذه المسألة، فأرسطو مثل أفلاطون لا يناقش هذه المسألة على الإطلاق و لم يفعل هذا أي فيلسوف يوناني، ومن جهة أخرى إذا كان الله هيولى بدون صورة، فانه لا يسمى موجودا، بمعنى أنه ليس شخصا، فهو الحقيقي على الإطلاق و أن الحط من

1- محمد عبد الرحمن مرحبا، المرجع نفسه، ص202.

2-وولتر ستيس، المرجع نفسه ، ص 235.

3- محمد عبد الرحمن مرحبا، المرجع نفسه، ص 202،203.

شأن الحقيقي إلى مستوى الموجود وتحويل الكلي إلى فردي هو الخطأ الذي لام عليه أرسطو أفلاطون فإذا اعتبر الله شخصا فانه يقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه أفلاطون، إن لب فلسفة أرسطو هي أن المطلق هو الكلي، غير أن الكلي لا يوجد بمعزل عن الجزئي، فقد رأى أفلاطون أن الوجود الحقيقي هو الوجود الكلي بينما أرسطو أضاف الوجود الجزئي، وتأكيد أن الله الصورة المطلقة يوجد كفرد يوقعنا في تناقض.**(1)**ومشكلة الكليات هي المشكلة التي أثيرت هند فلاسفة العصور، فانقسموا إلى اسميين يرون أن الكليات ليست إلا أسماء لها وجود ذهني فقط، فالوجود الحقيقي هو وجود الأفراد أما الأجناس و الأنواع فوجودها ذهني، و هؤلاء من تأثروا بأرسطو، بينما الواقعيين يجعلون للماهيات أو الكليات وجود في الخارج، و هؤلاء تأثروا بأفلاطون.**(2)**و أخيرا نتساءل حول مسألة الألوهية عند أرسطو: إذا كان الله لا يتصل بالعالم لا من ناحية الخلق و لا من ناحية التدبير فما هو مبرر القول به؟

إذا كانت الأشياء تسير بذاتها و تنتظم بذاتها على أحسن وجه، فما حاجتها إلى مبدأ يسيرها و علة تنظم أفعالها؟ أما القول بوجود شوق طبيعي بين أجزاء المادة إلى هذا المبدأ و عشق و شوق يدفعها من طور إلى طور دون أن يكون لله أي دخل و أي تدبير فهذا الكلام لا معنى له، فهو أقرب إلى الشعر لا الفلسفة، لقد جعل أرسطو من الله محركا جاهلا و قائدا لا علم له بجيشه و علة لا فعل لها في معلولها، و كيف يمكن تدبير عالم من قبل اله لا يعلم إلا ذاته، ألا يكون أرسطو قد جعل من العالم و الإله قطعتين منفصلتين لا وجود لاتصال لأحدهما بالأخرى؟ فقد انتقد أستاذه أفلاطون بأن

1-وولتر ستيس، المرجع نفسه، 237

2-عبد الرحمن بدوي، المرجع نفسه، ص74.

عجز عن تفسير نشأة عالم المثل، لكنه وقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه أستاذه.(1)

خامسا-الفلسفة الطبيعية أو الفيزياء الأرسطية: يرى أرسطو أن الوجود الطبيعي هو الذي يتعلق بالمادة في الذهن والواقع، فمهما تصورنا الإنسان فإننا لا نتصوره سوى لحم و عظم، وهذا ينطبق على سائر الموجودات الطبيعية في المادة التي تنسجم معها، وكل ما هو مادي متحرك حركة محسوسة، و التغير أو الصيرورة عنده أنواع: من اللاوجود إلى الوجود وتسمى كونا، ومن الوجود إلى اللاوجود تسمى فسادا ومن الوجود إلى الوجود، أي انتقال الشيء من حال إلى حال، هذا الانتقال هو حركة، لكن هذا التغير يحدث وفق ثلاث مقولات: الكيفية و الكمية و المكان، فالتغير حسب المقولة الأولى يسمى استحالة، و حسب المقولة الثانية يسمى نمو أو نقصان و حسب المكان يسمى نقلة.(2)و الأجسام الطبيعية كما رأينا سابقا مركبة من مبدأين: هيولى و صورة، و الصورة هي المثال الأفلاطوني أنزله أرسطو من السماء و رده إلى الأشياء فأصبحت حقائق بعد ما كانت عند أفلاطون أشباحا، والكون الموجود ككل هو بين طرفين، الهيولى الهلامية و الصورة اللامادية، و الحركة في الطبيعة هي الصيرورة الدائمة الأشياء و انتقالها من هيولى إلى صورة، وما دامت الصورة تتضمن الغاية فان الحركة الكلية في العالم باعتبارها انتقال الهيولى إلى صورة هي حركة نحو غايات، فلكل شيء في الطبيعة وظيفة و غائية، و فلسفة أرسطو هي في جوهرها فلسفة غائية رغم أنه لا يستبعد مبدأ الآلية، لأن البحث في العلل الآلية جزء من مهمة العلم، لكن العلل الآلية بدورها في النهاية تصبح غائية، لأن العلة

1-عبد الرحمن مرحبا، المرجع نفسه، ص 203.

2-يوسف كرم، مرجع سابق" **تاريخ الفلسفة اليونانية**" ص 161.

الفاعلة الحقيقية هي العلة الغائية النهائية، و لا يجب افتراض أن الطبيعة واعية بمخططاتها و تصاميمها و أن هناك وعيا موجودا خارج العالم يدبره كائن أخر و يتحكم فيه، فهذا الأمر مستبعدا لأن الله ليس شخصا واعيا موجودا، و الوجود الواعي بغاياته على وجه الأرض هو الإنسان، و هناك حيوانات مثل النحل و النمل تبدو أنها تعمل على نحو عقلي و أن نشاطها يبدو مخططا على نحو عقلي مسبق من أجل غايات معينة، لكن هذه الغايات تحققها بالغريزة، و هذه النشاطات و التحولات الموجودة في الطبيعة هي في الحقيقة من عمل العقل، لكنه ليس عقلا موجودا وواعيا، و هذا يعني أن الغريزة و كل القوى الآلية مثل الجاذبية هي في جوهرها عقل، و لا يعني هذا أنها مخلوقة بالعقل، بل هي العقل و هو يتكشف في الأشكال الدنيا، و عليه لا وجود لتفرقة بين العقل و الحس مثلما اعتقد أفلاطون، و إنما الحس ليس سوى شكل أدنى من العقل، و حتى مختلف نشاط المادة غير العضوية مثل الجاذبية هي عقل، لكن الطبيعة، و لكن الطبيعة رغم أنها تعمل من خلال العقل ليست واعية بهذا العمل و هي تعمل على نحو غريزي و تلقائي.**(1)**

يرفض أرسطو تعريف المكان بأنه خلاء، فالمكان الفارغ استحالة، و يرفض الرأي القائل أن المكان شيء غير فيزيائي، فلوكان كذلك لكان هناك جسمان يشغلان المكان نفسه في نفس الوقت و هما الشيء و المكان الذي يشغله، و يتصور المكان على أنه الحد، لذلك المكان هو حد الجسم المحيط إزاء ما هو محاط، و يرفض أن يكون المكان لا متناهيا، و بالنسبة للزمان فهو مقياس الحركة بالنسبة لماهو سابق و ولما لاحق، و الزمن يعتمد في وجوده على الحركة، فان لم يكن هناك تغير في الكون فلن

1-وولتر ستيس، المرجع نفسه، ص239، 238.

يكون هناك زمن، ولما كان الزمن هو معيار أو حساب الحركة، فانه يعتمد على وجود عقل حاسب، فإذا لم يوجد عقل حاسب فلن يكون هناك زمن.**(1)**

و يرى أرسطو أن الأجناس و الأنواع خالدة ليس لها بداية و لا نهاية، الأفراد يولدون و يموتون، لكن النوع الإنساني لا يموت أبدا، و هو يظل موجودا على الأرض و الأمر نفسه ينطبق على النباتات و الحيوانات، و لما كان الإنسان موجودا دائما فانه لا يتطور في الزمن من وجود أدنى إلى وجود أرقى مثلما تعتقد الداروينية لاحقا، بل عملية التطور هي عملية منطقية، بمعنى الأدنى يحتوى على الأرقى بالإمكانية، فالإنسان موجود في الفرد بالإمكان، و الأرقى يحتوى على الأدنى فعليا، فالأرقى هو الصورة و الأدنى هو الهيولى، فالتطور هو ارتقاء الهيولى إلى صورة، و الصورة ما هي إلا إطار تنظيمي للهيولى، ومن ثمة فان الكون كله عبارة عن سلسلة متصلة، فهو عملية أو صيرورة، و ليس عملية زمانية بل عملية خالدة، و يضع أرسطو سلم الوجود الطبيعي من الأدنى إلى الأعلى، فأدنى ما في سلم الوجود هو الهيولى اللاعضوية و من بعدها الهيولى العضوية، و في كتابه عن الحيوانات يتحدث أرسطو عن مبدأ التطور بالتفصيل موضحا ما هي الأجهزة العضوية الحيوانية الدنيا و العليا و يربط هذا بوسائل التوالد التي تلجأ الحيوانات المختلفة، من الحيوانات إلى الإنسان، و من بعد الإنسان تأتي الأجرام السماوية، وتشمل الكواكب و الشمس و القمر الذي يدور حول الأرض في اتجاه عكس اتجاه النجوم، ثم يصل إلى ذروة السلم الطويل من الهيولى إلى الصورة و هي الصورة المطلقة أو الله، و بما أن الهيولى الهلامية ليست شيئا موجودا أصلا، فان الصورة للامادية ليست موجودة أيضا، لهذا الله ليس

1-وولتر ستيس، المرجع نفسه، ص 240،241.

موجودا في عالم الزمان والمكان على الإطلاق، وأعطى أرسطو لله مكانا خارج الفلك، لأن المكان مرتبط بالكون الدنيوي. **(1)**

يستبعد أرسطو فكرة الخلق و حصر فعل الله في العالم على تحريكه، و جعل هذا الفعل ضروريا لا إرادة فيه، و هو يرى أن العالم قديم، و يعد أول فيلسوف قدم نظرية مكتملة في قدم العالم، تقوم على ثلاث مفاهيم أساسية: المادة و الحركة والزمان، فبالنسبة للمادة رأى أرسطو أن العالم نشأ من مادة أولية بسيطة، ليس لها شكل معين، أي ليس لها صورة محددة، و لما تحركت هذه المادة اتخذت صورا متمايزة و نشأت عنها أصناف الموجودات المختلفة، أما العنصر الثاني المتمثل في الحركة، فهي تحتاج الى محرك و هو الله، و هو المحرك الأول اللامتحرك، فالله علة الحركة و سببها و هي معلولة له، و العلة و المعلول عند أرسطو يجب أن يكونا متساوقين، أي لا يسبق أحدهما الأخر، و بما أن وجود الله قديم منذ الأزل فالحركة قديمة موجودة منذ الأزل و لا نهائية، و الزمان مرتبط بالحركة لأن الحركة لا تحدث إلا في زمان، و مادامت الحركة قديمة موجودة منذ الأزل فالزمان قديم، إذن كل العناصر مرتبط ببعضها البعض في الوجود فلا أحد يسبق الأخر. فهكذا يكون العالم قديم موجود منذ الأزل وسيظل إلى الأبد، وصلة الله بالأشياء هي صلة تجاور في الوجود. **(2)**

سادسا-النفس: تتجلى عبقرية أرسطو في دراسته للنفس في كونه لم يدرسها مستقلة عن البدن، بل اعتبرها وثيقة الصلة في كل أحوالها بالبدن وبأحواله وعليه لا يمكن في نظره تفسير أي ظاهرة أول

1-المرجع نفسه، ص ص 241-251.

2-محمد عبد الرحمن مرحبا، المرجع نفسه، ص 197.

حالة من حالات النفس بدون معرفة أحوال البدن و علاقتها به، و هو يقول في كتاب "النفس" " و يبدو أن النفس في معظم الحالات لا تفعل و لا تنفعل بغير البدن مثل الغضب و الشجاعة و النزوع و على وجه العموم الإحساس، و إذا كان هناك فعل يخص النفس فهو التفكير، و لكن إذا كان هذا الفعل نوع من التخيل أو لا ينفصل عن التخيل فان الفكر لا يمكن أن يوجد كذلك بدون بدن"(3) و يعرف أرسطو النفس بأنها ما يميز الكائن الحي عن غير الحي، و هو يقول" فالنفس إذن كمال أول لجسم له هذه الطبيعة، الا أن الكمال الأول يقال بمعنيين: فهو تارة كالعلم و تارة كاستعمال العلم، و يظهر هاهنا أن النفس كمال أول كالعلم، لأن النوم كاليقظة يقتضيان وجود النفس من حيث أن اليقظة شيء شبيه بوجود العلم دون استعمال العلم، و لكن العلم في الفرد متقدم في النشوء على استعمال العلم، لهذا كانت النفس كمالا أول لجسم طبيعي ذي حياة بالقوة، تعني بجسم ألي"(2) مثل البصر للعين هو كمال أول. و يقصد من التعريف السابق أن النفس أدنى أنواع الكمالات فالنفس صورة للجسد و مبدأ الحياة فيه، و ينفي إمكانية حلول النفس في جسم اصطناعي، و قوله "ألي" معناه أن الجسم ذو آلات أي أعضاء أو من الكائنات العضوية لها وظائفها المتباينة، لكنها تتفاعل فيما بينها بالغذاء و النمو الحس، و علم النفس هو جزء من العلم الطبيعي موضوعه الكائن الحي، و هو مركب من هيولى و صورة، و يقسم النفس إلى ثلاث أنواع:

- **النفس النباتية أو القوة الغاذية:** توجد في جميع الكائنات الحية و لها وظيفتان: الغذاء و التوليد أو التكاثر، و هي أبسط أنواع النفوس، و هو يقول " فالنفس الغاذية توجد كذلك في الكائنات المتنفسة غير الانسان، فهي أو ل قوى النفس و أعمها و بها توجد الحياة لجميع الكائنات الحية و لها وظيفتان:

1-أرسطو طاليس "**النفس**" ت/أحمد فؤاد الأهواني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015، ص10.

2-أرسطو طاليس، المصدر نفسه، ص ص 42،44.

التوليد والتغذي"(1) فالتغذي يجعل الكائن الحي ينمو في اتجاه معينة وسنة معينة إلى أن يصل إلى غايته الضرورية، والتوليد يضمن استمرار النوع ومشاركة الفرد الفاني في الخلود والألوهية، لأن كل فرد يرغب في تخليد ذاته ومحاكاة ما هو أزلي وإلهي وهو غرض جميع الموجودات الحية.(2)

-**النفس الحساسة أو الحيوانية:** وظيفتها الاتصال بالعالم الخارجي ونقل الصور إلى الداخل، فهي تدرك الصور خالية من مادتها، على حين النفس النباتية تقبل المادة وتقوم بإدخالها إلى الجسم من أجل النمو، و تتدرج وظائفها بحيث تبدأ بحاسة اللمس و هي أبسط الإحساسات و تشترك في جميع الإحساسات الأخرى الأكثر تعقيدا، و يلي اللمس الذوق، فالشم فالسمع فالبصر، وكل حاسة تنفعل بمحسوس معين، لكل منها اختصاص في النقل إلى الداخل، لا يشاركها فيه أي حس أخر، فالبصر مثلا ينقل الأشكال و الألوان، فهو لا ينفعل بغيرها، و الذوق ينقل الطعوم و لا يقتصر الأمر على الحواس الظاهرة بل هناك حواس أخرى باطنية هي: الحس المشترك، و المخيلة و الذاكرة، **فالحس المشترك:** يختلف عن الحواس الأخرى في أنه يدرك الصفات المشتركة بين المحسوسات التي لابد فيها من تضافر عدة حواس مثل الحركة و السكون و الجوع و العدد و الحجم و الوحدة، و كذلك يميز المحسوسات المختلفة من كل جنس بعضها من بعض، فيميز الأبيض عن الأسود في داخل اللون، وكما أنه هو الذي يجعلنا نشعر بأننا ندرك، فالحس المشترك ليس مجرد انفعال بل انفعال مصحوب بالإدراك، انه أول خطوة في طريق التفكير، أما **المخيلة:** فهي تلي الحس المشترك، و هي مرحلة

1-أرسطو طاليس، المصدر نفسه، ص53.

2-محمد عبد الرحمن مرحبا، المرجع نفسه ص181.

وسطى بين الحس المحض والتفكير المحض، ذلك أن الصورة الحسية لا تزول من النفس بعد زوال المحسوس بل تبقى أثارها وتظل محفوظة، يمكن استدعاؤها عند الحاجة، وتتفاوت الحيوانات في الاحتفاظ بهذه الآثار، والمخيلة لا توجد في جميع الحيوانات، بل في الراقية منها، و للمخيلة دور كبير في الأحلام، فمنها تنبعث صور الإحساسات السابقة و تظهر في النوم، حيث يقول أرسطو في تمييزه بين الظن و التخيل(1) "و لكن لا يوجد الاعتقاد القوي (كل ظن يصاحبه اعتقاد قوي) في أي حيوان، على حين التخيل يوجد عند عدد كبير منها(....) ولكن من بين الحيوانات ما يوجد عنده تخيل دون العقل"(2) **أما الذاكرة:** فهي لا تختلف عن المخيلة إلا في نسبتها إلى الزمان الماضي، إذ عملها يقتصر على بعث الصور إراديا وإعادة تركيبها من جديد بأشكال مختلفة.

-**النفس الإنسانية أو النفس الناطقة:** يختص بها الإنسان دون الحيوان، لأن الإنسان وحده الذي يتميز بقوة النطق أو العقل، وهو القادر على إدراك ماهيات الأشياء، يدرك المفاهيم الكلية، لأن الحواس تدرك الجزئيات، بمعنى الظواهر المحسوسة، هذه طاولة، هذا كرسي، هذا إنسان أبيض. وينقسم العقل إلى: **عقل نظري وعقل عملي،** فعند إدراك ماهيات الأشياء يكون عقلا نظريا، وعند الحكم على الأفعال هل هي خير أم شر يكون عقلا عمليا، و ينقسم العقل النظري إلى: **عقل هيولاني:** هو عقل بالقوة، قابل لأن تحصل فيه المعقولات بفعل التأثير الخارجي، و **عقل بالملكة:** و هو عقل هيولاني حصلت فيه المعقولات فأصبح بالفعل، و**عقل فعال:** هو عقل بالفعل دائما، و هو الذي يخرج المعقولات من

1-محمد عبد الرحمن مرحبا، المرجع نفسه، ص 182.

2-أرسطو طاليس، المصدر نفسه، ص 105.

الماديات، و يطبعها في العقل الهيولاني فيصير عقلا بالفعل، و يقول أرسطو أحيانا أنه مفارق و خالد بعد وفاة الإنسان، لكنه لم يحدده هل هو الله أم هو من العقول الفلكية أم الجواهر المفارقة؟(1)ويعتبر أرسطو النفس علة لثلاثة أشياء" فالنفس علة من حيث أنها أصل الحركة وأنها غاية وأنها كذلك جوهر الأجسام المتنفسة"(2)و لابد من الإشارة إلى أن الأخلاق اليونانية عامة و الأخلاق الأرسطية خاصة هي أخلاق السعادة، و السعادة ليست سوى حالا من أحوال النفس البشرية، كيف ذلك؟

سابعا-نظرية المعرفة: تقوم نظرية المعرفة عند أرسطو على نظرية النفس، إذ وسائل اكتساب المعرفة عند الإنسان والحيوان تعتمد على الحواس، فالإدراك الحسي هو أول خطوة في المعرفة، ومن تكراره تعمل المخيلة و الذاكرة، و هذه كلها مشتركة بين الإنسان و الحيوان،(3) و المعرفة الحسية تمثل قوى النفس الأولى: القوة النباتية أو الغاذية و القوة الحيوانية أو الحساسة، بعناصرها الحواس الخمس و الحواس الباطنة (الحس المشترك و المخيلة والذاكرة) فالعالم الخارجي هو موضوع معرفتنا، على خلاف أفلاطون الذي اعتبره مجرد ظل للعالم الحقيقي و هو عالم المثل، و الوسيلة التي تربطنا به الحواس، و هو يقول " الإحساس ليس بمعرفة و من فقد حاسة فقد القدرة على التعلم"

غير أن أرسطو قال بنظرية غريبة و طريفة، فهو يقول أن العضو الحاس يتلقى صورة المحسوس في الأشياء بعملية تجريد مؤداها أن العضو الحاس يجرد الصورة الحسية من مادتها فينطبع

1-محمد عبد الرحمن مرحبا, المرجع نفسه، ص ص 184-183.

2-أرسطو طاليس، المصدر نفسه، ص 54. .

3-أميرة مطر حلمي، مرجع سابق، ص 230.

بها، أي أن الإحساس هو انتقال الصورة الحسية إلى الوجود بالفعل في العضو الحاس، كالعين تتلون بنفس لون الشيء المحسوس، و اليد تسخن بالحرارة، و الأذن تتحد بالصوت، و معنى هذا أن الإحساس عند أرسطو ليس عملية جسمانية ترتبط بالجسم كما قال أفلاطون و العقل يظل مجردا من المجردات، بل الإدراك الحسي عنده يستند إلى عمل النفس بالإضافة إلى عمل الجسم، و استخلاص الصورة من مادتها، أي هي عملية تجريد تمهيد لعملية تجريد أخرى أعلى و أحدث عندما يدرك العقل المجردات أو حين يرتفع من إدراك الجزئيات المحسوسة إلى الكليات أو الماهيات.**(1)** و هي وظيفة العقل الفعال، الذي يكون المفاهيم الكلية أو الماهيات و يطبعها في العقل بالقوة فيتحول إلى عقل بالملكة، و إلا ظل العقل بالقوة أو الهيولاني كما هو.

فالمحسوسات عند أرسطو أشبه بمادة أولية متعددة و متنوعة تحتاج إلى العقل الذي يوحدها و يرتبها و يصنفها بصفاتها المشتركة، فالعقل يعمل في الطبيعة و الطبيعة تمد العقل بموضوع عمله، فالمعرفة عنده تشترك الحواس والعقل باتصالهما بالعالم الخارجي، والإدراك الحسي لا يعني الاعتماد على الحواس وحدها دون العقل، بل الحواس بحاجة إلى ترجمة المعلومات عن طريق الحس المشترك، و هو من الحواس الباطنية، و المخيلة و الذاكرة، ثم عمل العقل الفعال، فالحواس بحاجة إلى عقل و

1-أميرة مطر حلمي، المرجع نفسه، ص 231.

-العقل الفعال يعتبره أرسطو من العقول المفارقة أحيانا وخالد بعد وفاة الإنسان، لكنه لم يحدد إن كان الله أو من العقول الفلكية أم من الجواهر المفارقة، محمد عبد الرحمن مرحبا "من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية" ص 183،184.

العقل بحاجة إلى حواس. (1) وهذا الموقف الأرسطي من المعرفة يجعله ضمن فلاسفة الاتجاه العقلي، رغم اعتقاد بعض الباحثين بأنه مؤسس التجريبية بامتياز، على كل فان نظريته في المعرفة تماثل نظرية الفيلسوف الألماني "ايمانويل كانط" صاحب الاتجاه النقدي، الذي استخدم بعض المصطلحات الأرسطية كالعقل العملي والعقل النظري. ورأى أن المعرفة ثمرة تضافر عنصر بعدي مادي يتمثل فيما تقدمه الحواس وعنصر قبلي صوري يتمثل في العقل بمقولاته القبلية كالزمان والمكان والعلية.

ثامنا-الأخلاق: تعرف الأخلاق اليونانية بأنها أخلاق السعادة، فالبحث عن السعادة عند اليونان هو المطلب الأسمى للإنسان و خيره الأعلى و غايته القصوى، في مقابل التصور الحديث للأخلاق منذ كانط المطبوع بطابع الواجب، فإذا كانت قاعدة السلوك عند كانط تقول" افعل هذا لأنه واجبك" فان الأخلاق اليونانية تقول" افعل هذا لأنه يؤدي إلى سعادتك" و من أبرز ممثلي الأخلاق اليونانية أرسطو، فالفضيلة واللذة و النجاح و السعادة ألفاظ مترادفة لها دلالة واحدة عنده، فكلها تطلب لذاتها و ليست وسيلة لشيء أخر يعلو عليها،(2) حيث يقول " لكن هناك على التحقيق الخاصة التي هي السعادة على ما يظهر، فانه لأجلها وحدها نبحث عنها(...) بل على الضد نحن نطلب التشريف و اللذة و العلم و الفضيلة على أي كل كان فإننا نبغي بلا شك كل هذه المزايا لذواتها مادام أننا نصرف النظر عن كل نتيجة أخرى نرغب على التحقيق في كل واحد منها"(3) و إذا كانت السعادة هي الغاية القصوى للحياة

1-بن دحمان الحاج" **نظرية المعرفة عند أرسطو**" مجلة مقاربات فلسفية، جامعة غليزان، المجلد 8، العدد 1(2021) ص316.

2-محمد عبد الرحمن مرحبا، المرجع نفسه، ص 204.

3-أرسطوطاليس"**علم الأخلاق إلى نيقوماخوس**" الجزء الأول، ت/ أحمد لطفي السيد دار الكتب المصرية، ط1،ص191.

فما هي السعادة؟ يجيب أرسطو كما أشرنا سابقا إن السعادة ليست حالا من أحوال

النفس البشرية، فهي لا تتحقق بمزاولة الحياة الغاذية، لأنها مشتركة بين الإنسان و الحيوان، و لا بمزاولة الحياة الحساسة أو الحيوانية، لأنها لا تعبر عن ماهية الإنسان، فهي مشتركة بين الإنسان و.

الحيوان، و إنما تتحقق سعادة الإنسان بمزاولة النفس الناطقة أو العاقلة لأنها ميزة الإنسان، و هذا ينبع من قاعدة أساسية وهي أن أي كائن لا يحقق غايته و لا سعادته إلا بأداء وظيفته على أكمل وجه، فالسعادة إذن تكون بعمل النفس الناطقة وحدها، أي بحسب وظيفتها، فعمل النفس الناطقة بحسب فضيلتها مصدر لذة حقيقية لها، لأن فيه خيرها، و بذلك يوحد أرسطو بين اللذة والسعادة، و اللذة عنده لها معنى روحي قريب من المعنى الأفلاطوني، فهي ما يعقب تحقيق الفعل المطابق للفضيلة من غبطة و ارتياح، فهي كمال لم يبقى فيه أثر للقوة، فهي بمثابة الصورة عندما تتحقق على الوجه الأكمل، فالخير الذي نبحث عنه هو أكثر نهائية، و هو مطلوب لذاته،**(1)** حيث يقول أرسطو" فعلى هذا المعنى الخير الذي يجب أن يبحث عنه، لأجله وحده هو أكثر نهائية من الذي يبحث عنه لأجل خير أخر"**(2)** و يعترف أرسطو بضرورة النجاح المادي في الحياة لتحقيق السعادة و الخير و الفضيلة، فمن العسير على الفرد أن يفعل الخير ما لم يتوفر لديه المال و السلطة و الجاه والصحة، فكلها شروط السعادة إن انعدمت أفسدتها، و بذلك يكون معنى اللذة عند أرسطو يختلف عن المعنى الأفلاطوني الكلي لها، و الفضائل نوعان: فضائل خاصة بالقوة الناطقة، و هي الفضائل العقلية كالعلم والفن و الحكمة بنوعيها

1-محمد عبد الرحمن مرحبا, المرجع نفسه، ص 205.

2-أرسطو طاليس، المصدر نفسه، ص 190.

النظري و العملي، وهذه الفضائل تكتسب بالتعلم و تنمو بنموه، و الحكمة النظرية أهم الفضائل، لأنها الفضيلة الوحيدة التي يشارك فيها الإنسان مع الله، و هو بهذا يتفق مع أفلاطون، لأنه ينشد حياة التأمل، و النوع الثاني من الفضائل هي الفضائل الخاصة بالقوة النزوعية أو الشهوانية و تسمى بالفضائل الأخلاقية كالشجاعة و العفة والكرم، و هي موجودة بالقوة ، نحن متهيئون لاكتسابها، وتستكمل و تصير بالفعل، و يرتبط مفهوم الفضيلة عنده بالوسط، العدل وسط بين رذيلتين إحداهما إفراط و الأخرى تفريط، فالشجاعة وسط بين الجبن و التهور، و الكرم وسط بين الإسراف والتقشف، فخير الأمور أوسطها.**(1)**

تاسعا-السياسة: يعتبر أرسطو السياسة فرع من فروع الأخلاق، و كان الدمج بين المجالين كان اليونانيون يعبرون عنه حتى في أساطيرهم بقولهم "إذا كان أبوللو هو مفسر الأخلاق فهو كذلك المعبر عن القانون"**(2)**و فكرة الدمج بين الأخلاق و السياسة عنده تظهر من خلال ثلاث أفكار أساسية، أولها: فكرة الغائية، حيث يرى أرسطو أن السلوك الإنساني سلوك غائي، متأثرا بالبيولوجيا على نحو ما كانت عند أبيه الطبيب، أي يهدف إلى غاية ما، و غالبا ما تعتبر هذه الغاية خير من نوع معين، و إذا كان السلوك الإنساني سلوك غائي فان كل دراسة و كل علم أو كل فن من الفنون يهدف إلى غاية ما هي بدورها "خير"**(3)** حيث يقول في كتابه" الأخلاق إلى نيقوماخوس" "كل الفنون و كل الأبحاث العقلية المرتبة و جميع أفعالنا، و جميع مقاصدنا الأخلاقية يظهر أن غرضها شيء من الخير نرغب في بلوغه

1-محمد عبد الرحمن مرحبا، المرجع نفسه، ص ص 206-208.

2-إمام عبد الفتاح إمام "**الأخلاق والسياسة عند أرسطو**"(دراسة في فلسفة الحكم) المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1 ص 171.

3- المرجع نفسه، 172.

(...) على أن هذا لا يمنع من وجود الفروق الكبيرة بين الغايات التي يعتزمها الإنسان، فأحيانا تكون كهذه الغايات هي بالبساطة الأعمال نفسها التي تأتيها"**(1)**و الفكرة الثانية: هي الخير و الخير الأقصى، فإذا كانت كل الأعمال و كل الفنون تهدف إلى غايات معينة و هي خير، فمثلا وصول علم الكيمياء إلى تركيب المادة هو خير، و وصول علم الاقتصاد إلى تحقيق الثروة خير، و وصول الطب إلى الصحة خير، فهناك إذن خيرات متعددة، فلابد أن تكون هناك غاية تطلب لذاتها، بحيث جميع الغايات الأخرى مطلوبة للوصول إلى هذه الغاية، الخير الأقصى، و هكذا تكون الأخلاق الأرسطية تستند إلى نفس الهدف الذي كانت تستهدفه الأخلاق عند أفلاطون، و هذه الخيرات تنتمي إلى أكثر العلوم شمولا و أعظمها سيادة هي علم السياسة، لأنه العلم الذي يحدد ما هي العلوم التي ينبغي أن توجد في الدولة، و ما هي العلوم التي ينبغي على كل فئة من المواطنين تعلمها حيث يقول أرسطو" نقطة أولى يظهر أنها بديهية، و هي أن الخير ينبع من العلم الأعلى بل العلم الأساسي أكثر من جميع العلوم ، وهذا هو على التحقيق علم السياسة، فانه في الواقع هو الذي يعني بالعلوم الضرورية لحياة الممالك و ما هي التي يجب على أهل الوطن أن يتعلموها"**(2)** و ينتج عن هذا أن غاية السياسة هي خير الإنسان، لأنه حتى إذا كان خير الفرد هو نفسه خير المدينة، فمن الواضح أن خير المدينة هو شيء أعظم و أكثر كمالا.**(3)** و الفكرة الثالثة: هي أن علم السياسة هو الذي يحدد الخير الأقصى يتساءل أرسطو في كتابه

1-أرسطو طاليس، المصدر نفسه، ص 169-170.

2-المصدر نفسه، ص 171.

3-إمام عبد الفتاح إمام، المرجع نفسه، ص 174.

"علم الأخلاق إلى نيقوماخوس": ما الغاية التي من علم السياسة ما دامت كل معرفة تتجه إلى نحو الخير، فما الهدف الذي يمكن أن يكون لعلم السياسة سوى تحقيق الخير؟ فأغلب الناس يتفقون على أن غاية علم السياسة هي السعادة، فعلم السياسة هو الذي يحقق الخير الأقصى للإنسان وهو علم المدينة، وهذه الدولة لا بالمعنى السياسي الضيق بل بالمعنى الواسع الذي يعني الوجود البشري المتحضر، الذي لا يمكن أن يوجد إلا في المدينة.**(1)** علم السياسة إذن هو علم السعادة التي تعد أسمى هدف للسلوك البشري، سواء كان على مستوى الفرد أو الجماعة، لهذا وجب على هذا العلم أن يضع نظرية في السلوك تبين ما هو الأفضل والأحسن من الأشياء من غيرها، فاعتقاد أرسطو و كل اليونانيين هو أن الفرد أساس الدولة و أن هناك وحدة قوية بينهما، فإذا كان السلوك الأخلاقي صفة لسلوك الفرد، فلابد أن يكون أيضا صفة لسلوك الدولة، لأن الفرد مواطن أخلاقي بقدر ما هو مواطن سياسي، لهذا فان الأخلاق لا تنفصل عن السياسة، فممارسة السياسة عملا أخلاقيا.**(2)**

هكذا يجمع أرسطو بين الأخلاق والسياسة ولن تنفصل الأخلاق عن السياسة فصلا نهائيا إلا مع الرواقيين، فالأخلاق عندهم منفصلة عن السياسة، وسينطوي الفرد على نفسه، فلن يعنيه من أمر الجماعة شيء، وعندئذ سيكون الفصل تاما بين أخلاق الدولة وأخلاق الفرد، بل سينشب نزاع بينهما وسيطرح لأول مرة مشكلة الفرد والمجتمع، ومنهج أرسطو في السياسة يختلف عن منهج أفلاطون، لأن منهج أفلاطون معياري يهتم بالسياسة المثلى ينظر إلى ما يجب أن يكون، بينما أرسطو يهتم بما هو

1-إمام عبد الفتاح إمام، المرجع نفسه، ص 175.

2-المرجع نفسه، ص 177،178.

كائن، من حيث وصف أنظمة الحكم الممكنة وبيان نشأتها، ووضع نظرية في الدولة على أساس الدراسة الموضوعية والواقع العلمي.**(1)**

في كتابه "السياسة" يبدأ أرسطو بتفنيد الرأي القائل بأن الفرد هو نواة المجتمع، وهو يرى أن نواة المجتمع هي الأسرة لا الفرد، لأن الفرد حيوان مدني بالطبع، أي لا يمكن أن يعيش منعزلا عن الآخرين إلا إذا كان إلها أو بهيمة، فكلاهما لا يحتاج لغيره، إما فيه نقص كالبهيمة أو لكماله المطلق كالله " إن هذا الذي لا يستطيع أن يعيش في الجماعة وليس له مع استقلاله حاجات فذلك لا يستطيع البتة أن يكون عضوا في الدولة إنما هو بهيمة أو إله"**(2)** و الأسرة نواة المجتمع تكفي حاجياتها اليومية مؤقتا، و إذا أرادت أن تحقق حاجياتها بصفة دائمة و حاجيات أخرى فوق الحاجيات اليومية كالأمن ارتبطت بأسر أخرى فتكونت القرية "إن الاجتماع الأول لعدة عائلات الذي ألف بالنظر إلى العلاقات التي ليست يومية إنما هو القرية، التي يمكن بحق تسميتها المستعمرة الطبيعية للعائلة، لأن الأفراد الذين يعمرون القرية قد رضعوا لبن العائلة إنهم أولادها و أولاد أولادها"**(3)** و إذا تشعبت حاجات القرية تطلعت إلى قرى أخرى تتبادل معها المنافع و المصالح نشأت الدولة، أو كما تسمى دولة المدينة، فأصل الدولة يعود إلى الأسرة " إن اجتماع عدة قرى يؤلف دولة تامة، يمكن أن يقال عليها أنها بلغت حد كفاية نفسها على الإطلاق بعد أن تولدت من حاجات الحياة و استمدت قدرتها على قضاء تلك الحاجات كلها"**(4)**

1-محمد عبد الرحمن مرحبا، المرجع نفسه، 208.

2-أرسطوطاليس" **السياسة**" ت/ أحمد لطفي السيد، مكتبة فلسطين للكتب المصورة، دون رقم الطبعة، ص97.

3-المصدر نفسه، ص 95.

4-المصدر نفسه، ص 95.

و هكذا تكون الدولة مجتمع طبيعي بكل معنى الكلمة فرضتها الطبيعة البشرية و ليست كائن اصطناعي كما يعتقد السفسطائيون، فهي كائن عضوي يتألف من مجموعة من الخلايا هي الأسر، تعمل في تناسق فيما بينها كأعضاء الجسد الواحد " على هذا فالدولة تأتي دائما من الطبع شأنها في ذلك شأن الاجتماعات الأولى التي الدولة غايتها الأخيرة"**(1)** و رغم أن الأسرة سابقة على الدولة في الزمن إلا أن الدولة سابقة عنها و أعلى قيمة منها، حيث يقول أرسطو" لا يمكن الشك في أن الدولة هي بالطبع فوق العائلة و فوق كل فرد، لأن الكل هو بالضرورة فوق الجزء مادام متى فسد الكل فليس يعد من الجزء (...)لأن اليد متى فصلت عن الجسم لم تبقى يد على الحقيقة"**(2)** لأن الكل سابق لأجزائه من حيث هو غاية، فالدولة هي الغاية و الأسرة هي وسيلة لتحقيق هذه الغاية، و الوسيلة متأخرة عن الغاية، و الغاية متقدمة عن الوسيلة من حيث الشرف و المرتبة، بمعنى الدولة هي صورة و الأسرة بمثابة هيولى، و تتألف الأسرة من الرجل و المرأة والعبيد، و الرجل رأس الأسرة و سيدها م إليه ترجع تسيير شؤونها، لأنه يتميز بالعقل و الحصافة، أما المرأة فدونها عقلا و وظيفتها العناية بالأولاد و المنزل، أما العبيد فدورهم تأمين الحاجيات الضرورية للأسرة، فهم أدوات حية و آلات للحياة و الإنتاج، يقومون بالأعمال المنافية للأحرار الإغريق، لأنهم جمعوا بين الروح العالية و الشجاعة التي ينفرد بها أهل الشمال، و بين الحذق و الذكاء و المهارة التي يتصف بها الشرقيون، فالناس درجات و على الأعلى أن يسيطر على الأدنى، كما على الأدنى أن يخضع للأعلى، و هذا هو قانون الطبيعة، و قد حاول أرسطو أن يخفف من وطأة نظام الرق فأوصى السيد بأن لا يسيء معاملة عبيده، بل أن يحسن معاشرتهم، و يهبهم الأمل في العتق

1-أرسطوطاليس، المصدر نفسه، ص 95.

2-المصدر نفسه، ص 97..

والحرية، كما رأى الفرق بين السيد والعبد ليس واضحا على الدوام، لأنه ليس بالضرورة لابن الرقيق أن يكون رقيقا بالوراثة والطبع (ما يسمى بتدبير المنزل) وقد أوصى أرسطو بعتق جميع عبيده عندما حضرته الوفاة. **(1)**

يرى أرسطو أن أشكال الدولة تختلف باختلاف البيئة والزمان وقدم أمثلة لست حكومات، ثلاثة منها صالحة والثلاثة الأخرى فاسدة، وهي: -**حكومة الفرد:** و هي حكم الفرد المتفوق بعقله و حكمته، لذلك فهو يحكمها طبيعيا، و اذا فسدت نشأت:

-**حكومة الاستبداد:** وهي حكومة الفرد بقوته. -**الحكومة الأرستقراطية:** وهي حكومة الأقلية العاقلة أو الأقلية الممتازة(النخبة) وإذا فسدت نشأت:

-**الحكومة الأوليجاركية:** وهي حكم الأقلية الغنية أو القوية. -**الحكومة الجمهورية:** تقوم على مشاركة أغلب الأفراد أو كلهم في الحكم، لا يوجد فيه فرد أو طبقة متميزة، وإذا فسدت نشأت: -**الحكومة الديمقراطية:** و هي تقوم على مشاركة الأغلبية الفقيرة. و لم يحدد أرسطو شكل خاص هو نفسه أحسن الأشكال مثلما فعل أفلاطون، بل يرى أن كل شكل و كل دستور يرتبط بظروف معينة و عصر ما، و قد فضل أرسطو حكومة الفرد، فحكم الفرد العادل خير أنواع الحكم عنده، لكنه رأى أن هذا متعذرا، لأنه قل ما يوجد الإنسان الكامل، و يلي حكومة الفرد الحكومة الأرستقراطية، ثم الجمهورية.**(2)**

1-محمد عبد الرحمن مرحبا، المرجع نفسه، ص ص 210-2012.

2-أحمد أمين و زكي نجيب محمود، مرجع سابق "**قصة الفلسفة اليونانية**" ص ص 256-260.

و أحسن حكومة تكون بالاعتماد على مبدأ الأخلاق و هو الفضيلة وسط بين طرفين، بحيث نجد طبقة من الشعب تكون مزيجا من ضدين ووسط بين طرفين، و هذه الطبقة هي الوسطى المؤلفة من أصحاب الثروة العقارية المتوسطة، يعيشون من عملهم و لا يملكون فراغا من الوقت، فلا يعقدون إلا الجلسات الضرورية و يخضعون للدستور، وحكومتهم مزيج بين التطرف في حكمي الأوليغارشية(حكم الأغنياء) و الديمقراطية(حكم الفقراء)(1) فكلما كانت الطبقة الحاكمة وسطا كانت أقرب مسافة بين كل ضد و أخر، و يقر أرسطو بأن الحكومة الصالحة هي التي تراعي طبيعة شعبها. و يقر أرسطو بضرورة الدستور للدولة لتنظيم المواطنين و تحقيق الفضيلة، و يعرف الدستور بأنه وسيلة لتنظيم مناصب في دولة المدينة و لا سيما المنصب السيادي، فالدستور هو الذي يحدد الهيئة الحاكمة أو نوعية الحكم، و الذي يتخذ صورا مختلفة، فعلى سبيل المثال الهيئة الحاكمة هي الشعب في النظام الديمقراطي، و هي فئة مختارة (ذوو المال أو النسب) في الحكومة الأوليغارشية.(2) و قد وضع أرسطو كتابه "دستور الأثينيين" بين سنة 328 و سنة 325ق م و هذا هو الدستور الوحيد الذي و صلنا بين 158 دستورا وضعها أرسطو تدليلا منه على نظرياته التي ذكرها في كتاب "السياسة" و قد جعل هذا الدستور في بابين: الباب الأول من الفصل الأول إلى الفصل الحادي و الأربعين، خصصه لتطور النظام السياسي الأثيني إلى غاية القرن الرابع قبل الميلاد، و الشرح في الباب الثاني التنظيم السياسي الإداري في أثينا في عصره سرحا دقيقا و مفصلا، و رغم أن دراسته اتسمت بالروح الموضوعية إلا أن الباحثين اكتشفوا النظرية

1-Miller, Fred, "**Aristotle's Political Theory**", The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Summer 2017 Edition), Edward N. Zalta (ed.), URL = https://plato.stanford.edu/archives/sum2017/entries/aristotle-politics/p7-9.

2-Ibid., p 15-18 .

القائلة بمبدأ الوسطية في الحكم. **(1)**

و في عجالة قصيرة يمكن أن ننظر إلى الفرق بين أراء أرسطو السياسية و أراء أستاذه أفلاطون، فقد وافق أرسطو أستاذه بأن الغاية من الدولة هي تحقيق السعادة للشعب لأن الإنسان حيوان سياسي بالطبع، و يعني بالطبع أن الدولة غاية محتمة له بالطبع، و أن وظيفة الدولة هي تربية الأفراد على الفضيلة و توفير لهم الشروط ليكونوا فاضلين، و بدون ذلك لا يكون الإنسان إنسانا بل وحشا ضاريا، لذلك يكون سبب ربط أرسطو السياسة بالأخلاق هو أن أخلاقية الفرد متضمنة في الدولة، و حياة الدولة حياة جسم عضوي، فهو وحدة و أجزاؤه مرتبطة بعضها ببعض، و لكنها غير متجانسة، فلكل جزء حياته الخاصة، على خلاف أفلاطون الذي يضحي بالفرد للدولة، و هو يقول بضرورة الأسرة كجزء حقيقي من الكل الاجتماعي و هو الدولة، على خلاف أفلاطون الذي يلغي الأسرة بالشيوعية الجنسية و الاشتراك في الأولاد في النساء و تربية الأولاد.**(2)**

لقد تركت أراء أرسطو السياسية تأثيرا عميقا في الفلسفة السياسية حتى يومنا هذا، نظرا للنقاشات العميقة والمثيرة الاهتمام التي أثارها حول شؤون متكررة في الفلسفة السياسية، مثل دور الطبيعة البشرية في السياسة وعلاقة الفرد بالدولة و مكانة الأخلاق في السياسة، و نظرية العدالة السياسية و دور القانون وتحليل الدساتير و أسباب الثورة ة التغيير و علاجهما، و أهمية المواطنين ذوي التهذيب الأخلاقي و غيرها من قضايا الفلسفة السياسية الراهنة.

1-مصطفى غالب، مرجع سابق "**الموسوعة الفلسفية**" ج 7، ص ص256-260.

2-المرجع نفسه، ص 255.

الفصل الرابع: مرحلة الذبول في الفلسفة اليونانية

تمهيد: سنتطرق في هذا الفصل إلى الحركة الفلسفية من أوائل القرن الرابع قبل الميلاد إلى أواخر القرن الخامس ميلادي، فنتحدث عن مدارس تمثل أصحاب سقراط، تفرقت عنه، تأثرت به وتعلمت باسمه، عاصرت الأكاديمية ومدرسة اللوقيون وعارضتهما، فمهدت للمرحلة الثالثة والأخيرة من مراحل الفلسفة اليونانية، و هي مرحلة امتازت بخروج الفكر الإغريقي من أثينا و انتشاره في بلدان البحر المتوسط بعد وفاة الاسكندر، و اختلاطه بأفكار جديدة متعلقة بالثقافات الشرقية من جهة و بالديانات المختلفة كاليهودية و المسيحية، هذه التحولات أفرزت نمطا متميزا من التفكير الفلسفي يتصف بالطابع الصوفي والديني، و يميل إلى الفصل بين العلم والفلسفة و التوفيق بين مختلف الفلسفات و لا سيما فلسفة أفلاطون و أرسطو، و البحث في الأخلاقيات من أجل هدف واحد هو الحصول على الطمأنينة و السعادة الحقيقية كغاية قصوى للفلسفة أنداك، و تتميز هذه المرحلة بتناقص الإبداع الفلسفي و اللجوء إلى تجديد المذاهب القديمة تبعا لموقف سقراط و للفكرة الأساسية عند أفلاطون، حيث جدد أبيقور مذهب ديمقريطس و جدد الرواقيون مذهب هيراقليطس، و هما يمثلان الاتجاه المادي الذي تأثر بالفلسفة الطبيعية، في مقابل الاتجاه الروحي الذي تجسد مع الأفلاطونية المحدثة متأثرا بالفلسفة السقراطية، وكما ضعفت الثقة بالعقل و ظهر مذهب الشك، و في هذه المرحلة خاصة في القرن الثالث قبل الميلاد، ظهرت العلوم و الصنائع، ففي الرياضيات برز إقليدس(330-270ق م) صاحب "مبادئ الهندسة" جمعها ورتبها و علم بالإسكندرية و أرخميدس السراقوصي(287-212ق م) الذي جاء إلى الإسكندرية في شبابه، و لكنه قضى معظم حياته في وطنه، له أبحاث كثيرة في الرياضيات، و غيرهم من العلماء الذين كان لهم باع طويل و أثر إلى يومنا هذا.و سنعرض هذه الاتجاهات كالتالي:

1-السقراطيين الصغار: هم أصحاب سقراط وتلامذته، علموا في حياته أو بعد مماته، وكتبوا مصنفات سقراطية، وأولوا أفكاره بلسانهم الشخصي مع ادعائهم جميعا بصدورهم عنه، وكل منهم يزعم بأن فلسفته عرض للفلسفة السقراطية الحقيقية، و أطلق عليهم ب"صغار السقراطيين" أو "أنصاف السقراطيين" على أساس أن أفلاطون هو السقراطي الكبير و السقراطي الخالص.(1)

إن فلسفة سقراط ترتكز على جانبين: نظرية المفاهيم والنظرية الأخلاقية، ورجال عصره تمسكوا بالجانب الواضح من فلسفته و هو فلسفته الأخلاقية أي النظرية الأخلاقية، و تتلخص في أن الفضيلة هي الغاية القصوى للحياة، فكل شيء في هذا العالم مثل الثروات و اللذات و الراحة لا قيمة لها، و المدارس السقراطية تتفق كلها في هذه الغاية، لكنها تختلف في تحديد الفضيلة، لأن سقراط لم يحددها و التعريف الوحيد الذي قدمه هو أن الفضيلة معرفة، لكن أي معرفة؟ هل هي معرفة الرياضيات أم علم الفلك أم الجغرافيا؟ فرغم اعتماده على مبدأ التعريفات إلا أن أتباعه اختلفوا حول هذه النقطة، غير أن سقراط كان يقصد بأن الفضيلة تعتمد على معرفة الفضيلة،(2) و هذه المدارس هي:

1.1-المدرسة الكلبية(الكلبيون): مؤسسها أنستانس، ولد في أثينا و تتلمذ على يد جورجياس السفسطائي، ثم عرف سقراط و لازمه بعد وفاته، و سميت مدرسته بهذا الاسم لأنه كان يشتغل بالتعليم، و كان يجتمع بتلاميذه في مكان اسمه "الكلب السريع" و البعض يعتقد أن هذا الاسم لحقهم لسذاجتهم، وقد أعجب أنستا نس بسقراط، لكن ليس كرجل عقل و علم و فيلسوف بل سقراط الإنسان ذو الشخصية المستقلة الخاصة عن الحق بصرف النظر عن أراء الآخرين،، لقد كان سقراط لا يبالي بالممتلكات

1-يوسف كرم، مرجع سابق **"تاريخ الفلسفة اليونانية"** ص277.

2-وولتر ستيس، مرجع سابق **"تاريخ الفلسفة اليونانية"** ص 136، 137.

و الخيرات المادية و ملذات الحياة، لأن قلبه كان مرتبطا بتحصيل المعرفة، إن الاستقلال و عدم الاكتراث بالآخرين كانا بالنسبة له غايتين ينشدهما، لكن الكلبيين فسروا تعاليمه على أنها المقصود بها الاستقلال عن اللذات و الممتلكات الأرضية هو غاية في ذاته و هدف للحياة، لهذا كان تعريفهم للفضيلة هي التخلي عن كل شيء يجعل الحياة جديرة بأن تعاش في أعين الناس العاديين، إنهم ينادون بالزهد الكامل و استقامة النفس بصرامة، مع العلم أن سقراط كان يعتقد أن المعرفة الوحيدة هي المعرفة الأخلاقية مع عدم الاهتمام بأنواع المعرفة الأخرى، غير أن الكلبيين بالغوا في هذه القضية و حولوها إلى ازدراء و احتقار لكل فن و لكل معرفة، فالفضيلة هي التنصل من كل الرغبات و التحرر من كل الممتلكات، إلى درجة أن الكثير منهم رفضوا اقتناء البيوت أم أي مكان للسكن، و أخذوا يتجولون أشبه بالشحاذين و ليس لهم مأوى غير المعابد، كان فيهم كثير من الشذوذ مثل أن يقف الواحد عاريا تحت المطر في برد الشتاء، وكان يقول أنستا نس "إني أوثر أن أبتلى بالجنون على أن أشعر باللذة" لذلك يكون المثال الكلبي للفضيلة مثال سلبي.**(1)**

وقد وصفه أفلاطون و أرسطو بأن "الشيخ البليد العقل" و بأنه "رجل فظ أحمق" فلم تكن له مقدرة فلسفية خاصة، تكلم عن الماهية فقال ليست كلية، بل فردية، يعبر عنها بلفظ مفرد، فقال " إني أرى فرسا و لا أرى فروسية" ومن أشهر الممثلين ديوجانس(413-327ق م)**(2)** و يرى الكلبيون أن الفضيلة هي وحدها الخير و الرذيلة شر، و الفقر و المرض و العبودية لا يجب أن تعد شرورا، و الإنسان إما أن يمتلكها كلها فيكون رجل حكيم و إما لا يمتلكها على الإطلاق فيكون رجل غبي، و الحكيم يمتلك

1-المرجع نفسه، ص 138،139.

2-يوسف كرم المرجع نفسه، 279.

الفضيلة كلها و المعرفة والحكمة كلها و السعادة كلها و الكمال كله، و الغبي يمتلك الشر كله و التعاسة كلها و النقص كله.(1)

2.1-المدرسة القورينائية: مؤسسها أرستيبوس صاحب مذهب اللذة(435-355ق م) و هو يرى أن الفضيلة هي الغاية الوحيدة في الحياة، غير أن الفضيلة عنده هي الحصول على اللذات، تأثر أرستيبوس بالسفسطائيين الذين أنكروا موضوعية الحقيقة و وجود الأخلاق و القوانين، و رأوا أن كل إنسان هو قانون نفسه، فليس هناك قانون خلقي يقيد الفرد ضد رغباته، و ربط أرستيبوس هذا بمذهبه في اللذة، فمادامت اللذة هي الغرض الأقصى للحياة، فلا يوجد أي قانون خلقي يمكن أن يعيق الفرد في تحقيق اللذة المطلقة التي يهدف إليها من الخارج، لا سيء و لا شرير إلا تعطش الفرد للذة، و هو يتجاهلون تماما اللذات الروحية المعنوية أي اللذات العقل، كلذة النجاح و التضحية و يدعون فقط إلى اللذات الحسية.(2)

كان أرستيبوس يزدري العلم النظري كالكلبين، و خلفته ابنته و خلفها ابنها أرستيبوس الصغير، و يقال أنه هو الذي علم مذهب اللذة و ساهم في انتشاره، و أخر ممثلي هذه المدرسة هيجسياس الذي قال بأن الحكمة تنحصر في اتقاء الألم و لا يتحقق ذلك إلا بقتل الشهوة و الامتناع عن اللذة، و أن السعادة أمنية مستحيلة، لأن اللذة ينتج عنها ألم، و لقب ب" الناصح بالموت" و استمع له كثيرون و اقتنعوا به و انتحروا، وخشي الملك بطليموس أن تمتد عدوى الانتحار إلى آخرين، فنفى هجياس و أغلق المدرسة.(3)

1-وولتر ستيس، المرجع نفسه، ص139.

2-المرجع نفسه، ص 140.

3- يوسف كرم، المرجع نفسه، ص 254-255

3.1-المدرسة الميغارية: أسسها إقليدس في وطنه ميغارى ولحق به بعض الفلسفة أمثال أفلاطون، حيث قضى هناك حوالي ثلاث سنوات، و قد اشتهرت هذه المدرسة بالجدل الذي عرفت به المدرسة الايلية، أي إقليدس تأثر بهذه المدرسة و بالحركة السفسطائية و بالفلسفة السقراطية، فقد جمع بين الوجود البارمنيدي و الخير السقراطي، فقال الوجود و الخير واحد، و ما ليس خيرا فلا وجود له، فإذا كان المفهوم الجوهري عند بارمنيدس، و المفهوم الجوهر عند سقراط هو الخير، فان إقليدس يربط بينها، فالخير هو الوجود، إن الوجود و الواحد و الله و الخير و الألوهية هي أسماء مختلفة لشيء و احد و الصيرورة و الكثرة و الشر هي أسماء عكس الوجود ألا و هي اللاوجود(أي مذهب وحدة الوجود) بمعنى الأولى تطلق على الوجود و الثانية تطلق على اللاوجود، فالشر ليس له وجود حقيقي، و الخير وحده الحقيقي، و الفضائل المختلفة مثل الأرياحية و التسامح و ضبط النفس هي مجرد أسماء مختلفة لفضيلة واحدة هي معرفة الوجود.

فإذا الكلبيون و جدوا الفضيلة في الاستقلال و الزهد و القورينائيون في تحقيق اللذة بطريقة مفرطة، فان الميغاريين يجدونها في حياة التأمل الفلسفي، أي في معرفة الوجود.**(1)**

و قد خلف إقليدس "أبوليدس المالطي" و كان خصما عنيدا لأرسطو، استخدم حجج زينون لمعارضة المنطق الأرسطي القائم على مبدأ عدم التناقض، فكانت حججه عبارة عن أغاليط مكشوفة، منها قوله" إذا قلت أنك تكذب و أنت صادق في قولك، فأنت كاذب و صادق في أن واحد" و "إذا تقدم أبوك إليك و كان مقنعا فانك لا تعرفه، إذن أنت تعرفه و لا تعرفه في أن واحد، ثم جاء بعده أستيلون الميغاري و نحا نحوه، ولقي إقبالا كبيرا و انتقد نظرية المثل الأفلاطونية بالبرهان بالخلف.**(2)**

1-وولتر ستيس، المرجع نفسه، ص 141.

2-يوسف كرم المرجع نفسه، ص251.

2-المذهب الرواقي: مؤسسه زينون من أصل فينيقي، ولد بمدينة كيتيوم بقبرص (336-264 ق م) تعلم الفلسفة على يد أقراطيس الكلبي و أستيلون الميغاري، و تأثر بطبيعيات هيراقليدس و نظريته في النار، و أخذ أيضا بنظرية الاحتراق الكوني ثم عودة الدورة الكونية من جديد، وهي فكرة العود الأبدي التي قال بها أمباذوقليس و اعتقد بها نيتشه في العصر الحديث و خلف زينون على المدرسة الرواقية كليانتس(304-232ق م) و ثالث تلاميذ هذا المذهب هو كريزيتوس(284-204ق م). وقد جاءت الفلسفة الرواقية مناقضة لفلسفة سقراط أرسطو وأفلاطون، لأن هؤلاء أقاموا فلسفتهم على البحث النظري، أما الرواقيون فلم يأبهوا بالجانب النظري إلا بقدر ما يكون سبيلا إلى الجانب العملي من الحياة، فليست الفلسفة عندهم مجرد تأمل في الوجود وتقف عند هذا الحد بل هي " فن الفضيلة ومحاولة اصطناعها في الحياة العملية.وقسم الرواقيون مذهبهم إلى ثلاثة أقسام، تعبر عن وجهة نظرهم في ثلاث قضايا:

1.2-المنطق و نظرية المعرفة: يرفض الرواقيون ما ذهب إليه أفلاطون و هو أن النفس تولد مزودة بمعرفة فطرية أو سابقة منذ الولادة اكتسبتها في عالم المثل، و أخذوا بنظرية حسية في المعرفة ورأوا أن ذهن الإنسان يولد صفحة بيضاء خالية من كل أثر و تأتيه الانطباعات الحسية من الخارج فتنقش فيه كالختم على الشمع فتتكون التصورات أو التمثلات، فالعالم الخارجي هو أساس كل معارفنا، و أنكروا المفاهيم الكلية التي قال بها أفلاطون، أي أسماء الأجناس و الأنواع كالحيوان و الإنسان بأن لها وجود خارج أذهاننا، و اعتبروا أن هذه الادراكات الكلية ما هي إلا أفكار في عقولنا، قمنا بتجريدها من المحسوسات، فتكونت لدينا مفاهيم كلية داخا أذهاننا، و مادامت المعرفة صادرة عن الحواس فالحقيقة هي مطابقة أفكارنا أو ما ينطبع في أذهاننا من أثار و بين الأشياء الخارجية نفسها، أي تطابق الشيء في أذهاننا و بين الشيء نفسه.**(1)** و قال الرواقيون بوجود معان شائعة بين الناس جميعا أو مبادئ

2-أحمد أمين و زكي نجيب محمود، مرجع سابق "**قصة الفلسفة اليونانية**" ص ص 281-284.

تساعدنا في الحكم أصلها أيضا المحسوسات، و لكنها متوارثة تنشأ مبكرا أو بطريقة طبيعية و سابقة على باقي الأفكار، و هكذا وضع الرواقيون منطقا تجريبيا إذا ما قيس بمنطق أفلاطون و أرسطو.**(1)**

يشمل المنطق عندهم: الخطابة و هي الحديث المرسل، و فيها ميزوا بين الدال و المدلول و الموضوع الواقعي و الدلالة. و الديالكتيك، و هو نظرية الحديث المقسم إلى أسئلة و إجابات، أي الحوار، و قد درسوا تحت عنوان الديالكتيك: نظرية التعريف و المقولات و الأحكام و الأقيسة، أما بالنسبة للمقولات الأرسطية العشرة فقد اقتصر وها في أربعة: الموضوع (أو الحامل أو المادة أو الموجود) و الصفة(تعيين الموجود و صورته) وهما يكونان الجوهر، الحال(أي الصفة الذاتية) و صفته النسبية (أو نسبته)و هما عارضتان بالنسبة للجوهر، و منطقهم التجريبي لم يتبع نظريات أرسطو في التعريف الجزئي بإرجاعه إلى الكلي، وإنما ذهبوا إلى أن الأجناس و الأنواع لا وجود لها خارج الذهن، و بسبب إنكارهم للكليات فقد اعتبروا من الاسميين لأنهم اعتقدوا أن الكلي أو المعنى العام هو مجرد اسم لا وجود له في الخارج.**(2)** و هذه النظرية في التعريف ترتب عنها رأيهم الخاص في القضايا التي لم تعد تستخدم في إسناد ماهية إلى الأخرى مثل الإنسان حيوان ناطق، وتجنبوا مكلة تداخل الماهيات التي أثارها الشكاك و الميغاريون، فصار موضوع القضية دائما جزئيا محددا مثل هذا أو سقراط أو بعض التلاميذ، أما المحمول فهو حدث أو فعل يصف هذا الموضوع، فالقضية هي الدالة على صدور فعل من الفاعل و ليس تقرير نسبة، لذلك اعتنوا بالقضية الشرطية المركبة التي تتكون من مقدم وتالي، لأنها أكثر تعبيرا عن ارتباط وقائع بعضها ببعض، فهي تدل على الحقيقة الواقعية، فصارت القضايا عندهم خمسة:

1-أميرة مطر حلمي، مرجع سابق " **الفلسفة اليونانية، مشكلاته، تاريخها**" ص 377.

2-المرجع نفسه، 378.

1–قياس، مقدمته الكبرى شرطية متصلة: كما هو في المثال التالي: إذا سقط المطر نبت الزرع

لكنه سقط

إذن الزرع نبت

2–قياس، مقدمته الكبرى شرطية منفصلة: كما هو في المثال التالي: إما أن يكون العدد زوجيا أو فردي

لكنه زوجي

إذن فهو ليس فردي.

3–قياس مقدمته الكبرى سببية: كما هو في المثال التالي: لأن من حيث الشمس طالعة فالنهار موجود

لكنها ليست طالعة.

إذن فالنهار موجود.

4–قياس، مقدمته الكبرى فيها تقابل: كما هو في المثال التالي: ليس صحيح أن يكون أفلاطون قد مات وأن يكون حيا، لكنه قد مات، إذن ليس صحيحا أن يكون أفلاطون حيا.

5–قياس مقدمته الكبرى قضية فيها تفاضل: كلما كان النور أكثر كانت الظلمة أقل.

النور أكثر

إذن الظلمة أقل.**(1)**

2.2–الطبيعة عند الرواقيين: ينطلق الرواقيون في فلسفتهم الطبيعية من مبدأ " ليس في الوجود غير المادة" و هذا الرأي ينسجم مع وجهة نظرهم الحسية في المعرفة، فإذا كانت الحواس أساس كل معارفنا، فان ما لا نحس به لا نعرفه، وكل ما في الوجود هو المادة، و ينتج عن نزعتهم العلمية نظرية مادية

1–المرجع نفسه، ص 379،380.

تقول بوحدة الوجود، فالعالم واحد، ولابد أن يكون قد نشأ من مبدأ واحد، والوجود كله جسماني وحتى النفس مادامت تتأثر و تؤثر في الأجسام هو الأخرى جسم، فمثلا الجسم يؤدي إلى أفكار في النفس، و النفس تبعث حركات في الجسم، و هذا الأمر يكون مستحيلا لو لم يكن الجسم و النفس من عنصر واحد، فالمادي لا يمكنه أن يؤثر في غير المادي و العكس صحيح. والنفس مادتها نفس عاقلة خليط حار وهي خليط من الهواء والنار، ويمكنها الانفصال عن الجسم، والله كذلك هو الأخر مادي، و كيف خلق العالم؟ يظهر تأثر الرواقيين في هذه المسألة جليا بفلسفة هيراقليدس، فالعالم خلق عندما حول الله الذي كان نارا جزءا من نفسه إلى هواء ثم جزء من الهواء إلى ماء ثم جزء من الماء إلى أرض، ومن هذه العناصر وجد العالم، و هذا يعني أن هذا الهواء و هذا الماء و تلك الأرض ما هي إلا صورة من الله حول نفسه إليها عمدا و أبقى من نفسه جزءا إلهيا خالصا، لا يزال في أصله النار،**(1)** و لا يوجد خلاء في العالم لأن كل أجزائه مترابطة و متداخلة، و يرون أن العالم فان و سيأتي يوما و يحترق فيه و يعود إلى النار الأزلية، و لكن زيوس يعود و يخلق العالم من جديد و هكذا تتوالى الدورات في عود أبدي، و يتكرر فيه ما يسمى بالسنة الكبرى، و تتكرر فيه الأحداث نفسها، وهذه تجرى أيضا بقانون ضروري حتمي وفق العلة و المعلول و تسلسل العلل، والله خلق العالم و ليس مفارقا له، بل مباطنا له، فمنه حدث العالم و إليه يعود، و هو نفسا وجسما، لكنه أنقى الأجسام جميعا، انه أثير و هواء و هو أيضا عقل مدبر (لوغوس)**(2)** و رغم النزعة المادية للرواقيين إلا أنهم قالوا بأن الله هو العقل المطلق، بهذا لم يعدلوا عن ماديتهم، لأنهم فسروا النار الإلهية كعنصر عاقل، وإذا كان الله عاقلا، فالعالم

.1-أحمد أمين و زكي نجيب محمود، المرجع نفسه، ص286،287..

2-أميرة مطر حلمي، المرجع نفسه، ص381،380.

و مسير بالعقل والحكمة، و ينتج عن هذا مايلي: أولا، العالم سائر إلى غاية، يسير نحوها بنظام وجمال و ثبات. وثانيا، العالم خاضع لقوانين ثابتة، يسير حتما وفق قانون العلة والمعلول والسبب والمسبب، لذلك لا وجود للحرية في عالم تسوده الضرورة، فيكون الإنسان مجبرا خاضعا لقوانين الطبيعة.(1)

3.2-الأخلاق الرواقية: تتأسس الأخلاق الرواقية على مبدأين مرتبطان بفلسفتهم الطبيعية، و قد أشرنا إليهما سابقا، أولهما: العالم محكوم بقانون شامل ليس فيه استثناء، و ثانيهما: الطبيعة الأساسية للإنسان هي طبيعة عاقلة، فكانت فلسفتهم الأخلاقية تتلخص في هذا المبدأ" عش في وفاق مع الطبيعة"(2) و في حقيقة الأمر أن فلسفتهم الأخلاقية تتلخص في تعريف سنيكا للفلسفة، و هو ينتمي للرواقية المتأخرة، و مع ذلك يشترك مع الرواقية المبكرة في تحديد الفلسفة على أنها علم السلوك، و هو يقول" الفلسفة ليست أي شيء و إنما هي العلة الطبيعية للحياة أو المعرفة الحلوة بالحياة، أو هي فن الحياة الطبيعية، لن نخطأ إذا قلنا الفلسفة هي قانون الحياة، ومن يقول هذا الحكم، فهو الذي يسمى حكيما"(2) و يعني هذا، أولا: يجب أن يعمل الإنسان على وفاق الطبيعة بمعناها الواسع، أي على قوانين الطبيعة التي تحكم العالم، و ثانيا: أن يعمل على وفاق مع الطبيعة بمعناها الضيق، أي أهم جزء في طبيعة الإنسان هو الجزء العاقل، فيسير الإنسان بمقتضى العقل خاضعا لقوانين العالم، فتكون حياته حياة أخلاقية، فالفضيلة أو الخير هو السير وفقا للعقل، و الخضوع للعقل، و فكرة الخضوع للعقل قال بها أفلاطون و

1-أحمد أمين و زكي نجيب محمود، المرجع نفسه، ص 288،289.

2-المرجع نفسه، ص285.

3- فريديريك كوبلستون "تاريخ الفلسفة" المجلد1(اليونان و الرومان) ت/امام عبد الفتاح امام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ط1 ، 2002. ص528.

أرسطو قبلهم، غير أن هناك اختلاف بينهما وبين الرواقيين، فأرسطو اعتبر العقل أهم جزء في الإنسان، واعتبر الشهوات جزء من الإنسان لا يحق محاربتها، وإنما ضبطها بالعقل، أما الرواقيون فاعتبروها شرا محضا يجب إبادته، وصوروا الحياة كحرب بين الشهوات والعقل، يجب في الأخير أن يتبصر العقل و يظفر بالشهوات و يعدمها، لذلك كانت حياتهم تنتهي بالتقشف و الزهد و عدم التوازن بين قوى الإنسان. كما جعل أرسطو للعقل قيمة كبيرة، لكنه جعل للمال والمتطلبات المادية للحياة قيمة أيضا، أما الرواقيون فقد قالوا لا خير في الوجود إلا الفضيلة و لا شر إلا الرذيلة، و على الإنسان أن لا يبحث عن اللذة، فالسعادة الحقة في الفضيلة، و الإنسان يجب أن يكون فاضلا لا للذة، و لكن لأنه الواجب، و ليس هناك درجات في الفضائل و لا للرذائل، فكل فضائل خير و متساوية في الخير، و كذلك الرذائل متساوية في الشر.**(1)**

و الفضيلة في نظرهم مؤسسة على شيئين: العقل و المعرفة، فالمنطق و الطبيعة و غيرها من أنواع المعرفة النظرية ليس لها قيمة في ذاتها، و إنما قيمتها باعتبارها أساس للفضيلة، و أساس الفضائل كلها الحكمة، و من الحكمة تنبع فضائل أساسية أربع: بعد النظر، الشجاعة، و ضبط النفس أو العفة و العدل، و مادامت الحكمة أساس الفضيلة فان من حازها فقد حاز على كل شيء و من فقدها فقد كل شيء، و الإنسان إما فاضل بكل ما تعنيه الكلمة و إما شرير بكل ما تدل عليه الكلمة، و ليس في العالم الا اثنان: حكيم و مغفل، و لا شيء بينهما، و لا يوجد تدرج من الشر إلى الخير، فالحكيم هو الكامل الحر، الغني، الملك حقا، و هو الشاعر و الفنان و النبي، بينما المغفل ليس له إلا البؤس و

1-أحمد أمين و زكي نجيب محمود، المرجع نفسه، ص 290، 291.

القبح والفقر، غير أنهم غيروا من رأيهم في إبادة الشهوات، عندما رأوا أن ذلك مستحيل التحقيق، فأعلنوا أن الخير درجات، يمكن تفضيل بعضها عن البعض، فقالوا إن ماعدا الفضيلة والرذيلة ينقسم إلى ثلاثة أقسام: ما يفضل، وما يجتنب، و ما يهمل فلا يهم، و عدلوا كذلك عن رأيهم في الإنسان إما مغفل أو حكيم، فقد رأوا أن أبطال العالم و جال السياسة ينطبق عليهم من المغفلين، لأنهم ليسوا حكماء على الإطلاق، حتى هم الرواقيون أنفسهم لا يخلون من ارتكاب الأخطاء أحيانا.**(1)**

3-المذهب الأبيقوري: تنتسب الأبيقورية إلى أبيقور الذي ولد بجزيرة ساموس سنة 341 و توفي سنة 270 ق م، و قد انقسم المؤرخون في شأنه، ففريق يعظمه، و فريق أظهر كراهيته له لا مثيل لها، يقول ماركس "أن أبيقور كان الوحيد من بين القدماء الذين أرادوا تنوير العقول(...) ومن أجل ذلك لقبه رجال الكنيسة منذ عصر بلوتاخ إلى لوثر يلقب الفيلسوف الملحد بالمعنى الآثم." أسس مدرسة في الحديقة في نفس السنة التي أسس فيها زينون مدرسة الرواق، تتلمذ على يد "نوزيفان" الذي كان يعلم الفلسفة الطبيعية وخاصة فلسفة ديمقريطس المادية، ومن أشهر تلامذته و خلفائه من بعده: هومارخوس، ميترودورس، و موس، و قد كانت لأبيقور مؤلفات كثيرة بلغة 300مؤلف، ضاعت أغلبها و بقيت ثلاث رسائل: رسالة إلى هيرودوت تضمنت مختصرا في الفلسفة، و رسالة إلى بيتوكليس، يتكلم فيه عن الظواهر السماوية، رسالة إلى منيكايوس في الأخلاق، و يمثل أبيقور أخر أقطاب فلسفة الذرة سليل مدرسة لوقيبوس و ديمقريطس.**(2)**و تقسم فلسفته إلى ثلاثة أقسام رئيسية: هي قواعد المعرفة، الطبيعة، و الأخلاق، و هذا ما تتضمنه رسائله الثلاث المتبقية:

1-المرجع نفسه، ص ص 292-295.

2-كوبلتسون، المرجع نفسه، ص 535.

1.3-قواعد المعرفة: يرى أن أساس كل معارفنا هو الحواس، فمعيار الحقيقة هو الحواس، و كل إحساس صادق دائما، و هو يقول " لابد أن نثق في إحساساتنا و تمثلاتنا التي تحضر لأذهاننا" و الصواب و الخطأ لا يرجع إلى الإحساس بل إلى الحكم العقلي الذي يقع على الاحساسات، فقد نرى برجا معينا اسطوانيا من بعيد، و نراه مضلعا من قريب، و ليس من الخطأ أن نقول أننا نراه اسطوانيا، بل يقع الخطأ إذا استمررنا في الاعتقاد بأنه اسطواني عندما نقترب منه، و تكرار الإحساسات في الذاكرة يكون الأفكار، فالأفكار العامة أو التصورات العقلية التي نستخدمها في تفكيرنا تعتمد على جملة إحساسات سابقة، كقولنا إنسان بعدما رأينا عدة أفراد من الإنسان،(1) أو حيوان بعدما رأينا عدد من أنواع الحيوانات كالغزالة والقرد و الفرس...الخ، فالعقل في نظر الأبيقوريين الذي يحكم على المعطيات الحسية مؤسس نفسه تماما على الحواس، فإذا كانت الحواس غير صادقة فسيكون العقل بدوره كاذبا، و يقوم المنطق التجريبي الأبيقوري على ثلاثة **قواعد أو معايير: المعيار الأول هو الإحساس** ، و يحدث عندما تنفذ صور الأشياء إلى أعضاء الحس، و هو صادق دائما، و **المعيار الثاني هو التصورات أو المفاهيم**(التصورات السابقة) و هي انطباع صورة الأشياء في الذاكرة، فمثلا عندما تنطبع صورة الشيء في الذاكرة، مثلا صورة الحصان، فبمجرد أن سمع كلمة حصان تظهر صورة الحصان في الذاكرة، نوقظها في الذاكرة، و هذه الادراكات صادقة دائما، **المعيار الثالث هو المشاعر أو الانفعالات،** التي هي معايير السلوك، فالشعور بالمتعة أو اللذة هو معيار ما ينبغي علينا أن نختار، في حين الشعور بالألم يكشف لنا ما ينبغي أن نتجنبه، لذلك يقول أبيقور " معايير الحقيقة(أو الصدق) هي الحواس،

1-أميرة مطر حلمي، المرجع نفسه، ص 359.

التصورات السابقة، والانفعالات"(1)و يقول أبيقور في ضرورة الحواس "إننا ندرك علل الظواهر السماوية بالاعتماد على ملاحظتنا للظواهر القريبة منا على الأرض و ما يقع تحت حواسنا، و أننا كثيرا ما نعتبر الكواكب كائنات سعيدة و خالدة و تنسب لها الإرادة في أساطير تصور لنا هول العقاب الأبدي الذي ينتظرنا بعد الموت، لكن سعادتنا تتطلب من التخلص من هذه المخاوف، لكننا سعادتنا تتطلب منا التخلص من هذه المخاوف و دوام تذكرنا لهذه الحقائق الأولية و هذه المعلومات العامة." (2)

و لأبيقور نظرية في اللغة عارض فيه الذين رأوا بأن اللغة من صنع المجتمع، أي تفاهم و اصطلح عليها أفراد المجتمع، و هو رأي ديمقريطس، بينما أبيقور يرى عكس ذلك، فالطبيعة هي التي أوجدت اللغة في الإنسان كما أوجدت في الحيوان القدرة على التعبير عن مشاعره، و هو يقول" إن الطبيعة قد اضطرتنا إلى التعليم و التكيف و العقل يكسب معلوماتنا نظاما و يدفعنا إلى تطوير اختراعاتنا، و اللغة لم توضع مرة واحدة بالاتفاق بل أن الطبيعة قد جعلت لكل قوم تجربتهم الخاصة و المؤثرات الخارجية هي التي دفعتهم إلى إخراج أصوات من حناجرهم بشكل معين، يرتبط بالانفعالات و الظروف المختلفة، فتكونت نتيجة لذلك لغة خاصة بكل قوم."(3)

و النفس مركبة من جزيئات مادية صغيرة منتشرة في الجسم كله و هي أشبه بقبس حار و هي علة الإحساس، و لكنها تنفصل عن الجسم و الجزء العاقل منها يكون في الصدر، و القول بأن النفس

1-فريديريك كوبلستون، المرجع نفسه، ص 537،538.

2-أميرة مطر حلمي، المرجع نفسه، ص360.

3-المرجع نفسه، ص 362.

غير مادية عنده مرفوض، لأنه لو كانت غير مادية لما كان بإمكانها أن تؤثر أو تتأثر بالأشياء المادية.(1)

2.3-الطبيعة عند الأبيقوريين: اهتم أبيقور بالفلسفة الطبيعية لفائدتها في إزالة المخاوف الخرافية عن عقل الإنسان، فهو يرى أن الإنسان ملئ خوفا من الله ومن العقاب على أعماله بسبب ما قيل عن الحياة بعد الموت، و هذا الخوف أكبر عائق لحياة الإنسان و مضيعة لسعادته، وإذا زال الخوف تخلصنا من أكبر عائق يحول دون سعادة الإنسان، و أهم وسيلة لإزالة هذا الخوف هو دراسة الطبيعة.(2) و هو يقول في رسالته إلى هيرودوت "لو لم نتخلص من خوف الموت و الآلهة لما بحثنا في الطبيعة"(3) و هو يرى أن هذا العالم آلة ميكانيكية محكوم بأسباب طبيعية، و لا توجد كائنات مفارقة للطبيعة، و الإنسان في هذا العالم حر يبحث عن سعادته كيفما يريد، و هو حر الإرادة عكس ما يقول الرواقيون، و وظيفة الفلسفة هي مساعدته لتحقيق السعادة في هذا العالم،(4) و الكون ألي لم يأتي من العدم و لا ينتهي إلى العدم، و هو يقول بعدد لا نهائي من العوالم تتكون من عدد لانهائي من الذرات المتحركة في فراغ لانهائي، و سبب حركة هذه الذرات هو طبيعة هذه الذرات نفسها، و كأنه يقول أنها تتحرك من تلقاء نفسها أو الضرورة العمياء هي التي تجعلها تتحرك و هو نفس رأي ديمقريطس، فالذرات لانهائية في العدد و متحركة في حركة أبدية في خلاء لانهائي.(5)

1-المرجع نفسه، ص 363.

2- أحمد أمين و زكي نجيب محمود، المرجع نفسه، ص 300.

3-أميرة حلمي مطر، المرجع نفسه،. ص 364

4-أحمد أمين و زكي نجيب محمود ، المرجع نفسه، ص301.

5-أميرة مطر حلمي، المرجع نفسه، ص364.

إن أبيقور فيلسوف مادي لا يرى في الوجود أرواحا مجردة، ولا شيئا غير المادة، و كل الأشياء مكونة من ذرات، و هذه الذرات تختلف في شكلها و وزنها لا في كيفيتها، و النفس ذاتها ليست إلا ذرات تتفرق عند الموت، لذلك سعادة الإنسان في نظره تتوقف على عدم التفكير في حياة أخرى، و هذا ما يحررنا من الخوف منها، و ليس الموت شرا، لأننا إذا متنا فلا نكون، و إذا كنا فلا نموت، و كذلك قال لا خوف من الآلهة، و هو لا ينكر وجودها، بل اعترف بآلهة لا تعد و لكنها في شكل بشر، و هم يأكلون و يشربون و يتكلمون اللغة اليونانية، و جسمهم يتكون من عنصر كالضوء، و هم يعيشون حياة سعيدة هادئة أبدية، و لا يتدخلون في شؤون هذا العالم، لأنهم في سعادة، و لا يزجون بأنفسهم في مشاكل هذا العالم.**(1)**

لكن كيف يفسر أبيقور نشأة الكون؟ يرى أن كل الكائنات الحية نشأت من الأرض خصبة وفيرة الإنتاج، فأنبتت النبات أولا، فالطير فأنواع الحيوان، فالإنسان، ووجدت كائنات كثيرة ذات أشكال غير منتظمة وانقرضت أنواع كثيرة ولم يبق لها ذرية، أما التي بقيت بفضل ما لها من قوة أو حيلة أو من سرعة مثل الأسود التي بقيت بفضل قوتها وشجاعتها أو الغزال فقد بقي لسرعته، أو الثعالب لذكائها، أما الكلاب والأغنام بقيت لأن الإنسان هو الذي تولى أمر رعايتها، لما تقدمه له من خدمات.**(2)**

3.3-الأخلاق الأبيقورية: مثلما أن الذرة أساس للطبيعة، كذلك الفرد أساس للأخلاق عند أبيقور، فقد رأى الأبيقوريون مثلما رأى القورينائيون (أرستيبوس) أن الأخلاق تتأسس على اللذة، فاللذة وحدها هي

1-المرجع نفسه ، ص 301،302..

2-أميرة مطر حلمي، المرجع نفسه، ص364،365.

.الغرض الأقصى للحياة، فالخير في اللذة و الشر في الألم، الذي يفر منه الإنسان و يتجنبه، لكن معنى اللذة عند أبيقور يختلف عن معناه عند أسلافهم من الأبيقوريين الذي اقتصر على اللذة المؤقتة أو الراهنة، باللذة عنده بمعنى أوسع، و يمكن أن نقول قد وضع لها مقاييس و هي: يجب أن نرفض لذة عاجلة أو راهنة، لأنها يتبعها ألما أكبر منها، و يجب أن نتحمل ألما عاجلا لأنه يستتبعه لذة أعظم منه،(1) بمعنى اللذة المقصودة عنده هي: أولا، ليست اللذة الفردية الحسية و إنما التي تدوم مدى الحياة، و ثانيا، اللذة عند الأبيقوريين تقوم على غياب الألم أكثر من اعتمادها على الإشباع الإيجابي، و هذه اللذة توجد أساسا في طمأنينة النفس و صحة البدن، و هو يقول " في بعض الأحيان نتغاضى عن لذات كثيرة عندما نجد أن هناك مشكلة تنشأ عنها(كملذات الحياة و شهواتها مثل شرب الخمر) و نفكر في ألام كثيرة أفضل من اللذات عندما تنتج عنها لذات أعظم، لو أننا تحملنا الألم بعض لحظات."(2)فغياب الألم و هدوء النفس و ذهاب الاضطراب من الخوف أفضل من العمل على إيجاد اللذات الإيجابية، و هذا يعني أن أبيقور يميز بين اللذات الجسمية كالأكل و شرب الخمر و اللذات العقلية و يشدد أو يفضل اللذات العقلية، لأن الجسم لا يحس إلا باللذات الحاضرة أما العقل فيستطيع أن يتلذذ بتذكر لذات ماضية، و يأمل في لذات مستقبلية، و هو يرى أن خير لذة يطلبها الإنسان هي هدوء البال وطمأنينة النفس، و هو يتفق مع الرواقيين بأن السعادة تعتمد على نفس الإنسان أكثر مما تعتمد على الظروف الخارجية، و ذهب إلى اعتبار الصداقة أهم لذة عقلية، لأن المدرسة الأبيقورية لم تكن مجرد

1-أحمد أمين و زكي نجيب محمود، المرجع نفسه، ص 302.

2-فريديريك كوبلستون، المرجع نفسه، ص 502.

مدرسة يلتقي فيها التلاميذ، بل كانوا أكثر من ذلك أصدقاء، و يرى الأبيقوريين أن اللذة لا تكون في كثرة الحاجات وسدها، بل أن كثرة الحاجات يجعل من الصعب سدها، وهي تعقد الحياة من غير أن تزيد في السعادة، فمن خير لنا أن نقلل من حاجاتنا بقدر المستطاع، وقد كان أبيقور نفسه يعيش حياة بسيطة و يحث تلامذته على بساطة العيش، و يرى أن البساطة و الاعتدال و ابتهاج النفس و ضبطها أهم وسائل السعادة، و زيادة طلبات الإنسان و حرصه على الشهرة، ليس بالضروري بل لا قيمة له.**(1)**

بناء على ما سبق لم يكن الأبيقوريين أنانيين كما يعتقد البعض، فقد حثوا على الاعتدال والبساطة ورأوا أن يحسن الإنسان خير من أن يحسن إليه، و يشترط أبيقور على الحكيم حتى يكون جديرا بهذا الاسم أن يسيطر سيطرة تامة على رغباته، حتى لا تدفعه إلى طريق الضلال، فكثيرا ما كان يصف الحكيم بهدوء البحر أو بالسماء الصافية المشمسة، و هو يرى لا يجوز للإنسان تحت أي ظرف مهما كان أن يرضي لنفسه الذل و الهوان من أي كائن كان.**(2)**

4-الشكاك أو النزعة اللأدرية: تعني كلمة الشك أن الحقائق المرتبطة بهذا العالم لا يمكن الوصول إليها أو نشك في الوصول إليها، و النزعة الشكية نزعة هدامة للفلسفة، لأن الفلسفة هي سعي إلى معرفة حقائق هذا العالم، أما هذا المذهب يرفض وجود حقائق خارج ذوات الأفراد، و قد ظهر من قبل مع السفسطائيين، انه نظرية في انتفاء المعرفة و عدمها**(3)** فجورجياس كما وضحناه سابقا كان يرى "لا يوجد شيء" و " إذا وجد لا يعرف" "و إذا عرف لا يمكن إيصاله للآخرين "ترتبط النزعة الشكية بظروف

1-أحمد أمين و زكي نجيب محمود، المرجع نفسه، ص ص302، 303.

2-المرجع نفسه، ص 304.

3-المرجع نفسه، ص 305.

سياسية و اجتماعية و فكرية، تتمثل في ازدياد المذاهب الفلسفية و تناقضها في نظرتها للحقيقة، بالإضافة إلى احتكاك اليونانيين بعادات و أخلاق الأقوام الشرقية كالهندية بعد احتلال الاسكندر لها، وبعد انهيار حكمه كثرت الاضطرابات و سادت الفوضى و فسدت الأخلاق، و ضاع الحق و الخير، فقامت إلى جانب المدارس النظرية القديمة مدارس توجهت إلى البحث عن الطمأنينة و السعادة، و من هذه المدارس كانت المدرسة الشكية، غير أن الشاك في تلك الفترة لم يكن له دورا نافيا للحقيقة ومتهكما مثل السفسطائي، بل كان شخص مغلوب على أمره فقد الإيمان بالحق و الخير في بيئة اختلطت فيها الأفكار و فسدت الأخلاق، فانعزل على نفسه لا يوجب و لا ينفي، و إنما يقول "لا أدري" لم يكن مثل السفسطائي سفيها طالبا للمال، بل كان معرضا عن متاع الدنيا، فالشكاك أناس انتفعوا من العلم اليوناني و أتقنوا المحاجة و ارتقوا بالشك إلى قمته و جعلوه مذهبا و أولهم و إمامهم هو بيرون(365-275 ق م) المعروف بصاحب مذهب للأدرية المنكر للعليم واليقين، ولد في ايليس و تتلمذ على أحد الميغاريين و عرف أحد أتباع ديموقريطس.**(1)**و قد ظهر هذا المذهب في الحضارة الهلينستية* الرومانية، و مرت النزعة الشكية بثلاث أطوار: الطور الأول مثلته البيرونية، التي امتدت من أواخر القرن الرابع قبل الميلاد إلى القرن الثالث قبل الميلاد، بدأ مع بيرون و انتهى مع تلميذه تيمون(320-230 ق م) لم يدون بيرون آراءه، وما نعرفه عن طريق تلميذه تيمون، و في هذا الذي كثرت فيه الاضطرابات و فسدت فيه الأخلاق و ضاع فيه الحق و الخير، فكان طلب السعادة و طمأنينة النفس

1-يوسف كرم، مرجع سابق **"تاريخ الفلسفة اليونانية"** ص 277.

*-وهي الفترة التي كان فيها الفكر الإغريقي يغمر حضارات البحر المتوسط و ما وراءها.

في تعليق الأحكام، فرأى أننا لا نستطيع أن نعرف أي شيء من الأشياء و من ثم من الأفضل أن نتوقف عن إصدار الأحكام.**(1)**وهو لم يقل بالشك عن طريق البحث الفلسفي العميق في الحقيقة وإمكانها وإنما كوسيلة وكذريعة لتخفيف ألام الحياة، و هو يقول أن المعرفة لا حسية و لا عقلية، فالمعرفة الحسية تبين لنا الأشياء لا كما هي في ذاتها و إنما كما تبدو لنا، و المعرفة العقلية في الأصل هي نتاج العادة و مادام كذلك فلابد أن نتوقف عن إصدار الأحكام، و بالتالي عن المعرفة، و غرضه من ذلك تحقيق الخير الأسمى من خلال إنكاره للمعرفة الدوغماتية التي تدعي المطلقية، و قد وضع نظرية تقوم على ثلاثة أبعاد: أولها لا نستطيع أن نعرف شيئا عن طبيعة الأشياء، إننا نعرف فقط ظواهرها، أما حقيقتها الباطنية فإننا نجهلها، و يترتب عن ذلك بعدا ثان، يتمثل في التوقف عن إصدار الأحكام، لأن الشيء الواحد يظهر بمظاهر مختلفة للأفراد، لهذا كان من المستحيل معرفة أي الآراء على حق، فكل ووجهة نظره، بحيث نستطيع البرهنة على القضية و على نقيضها، فلكل إنسان رأي لا حقيقة، و ينتج عن هذا بعدا ثالثا وهو من الواجب علينا أن نسلك طريق اللامبالاة قصد تحقيق السعادة العقلية و الطمأنينة النفسية.**(2)** و من أقوال بيرون: كل قضية فهي تحتمل قولين، و يمكن إيجابها أو سلبها بقوة متعادلة، فالحكمة في العدول عن السلب أو الإيجاب و الامتناع عن الجدل و الوقوف عند الظواهر" فالشك لا يتناول الظواهر و هي بينة في النفس، و لكنه يتناول الأشياء في أنفسها، و الشك يقر بأن الشيء الفلاني يبدو لي أبيض، و أن العسل يبدو لذوقه حلوا، و أن النار تحرق لكنه يمتنع عن

1-شاذلي الهواري " **من الشك الفلسفي إلى النسبية العلمية، دراسة كرونولوجية**" مجلة الراصد العلمي، جامعة وهران1-أحمد بن بلة، العدد5، ماي 2018 ص48،49.

2-المرجع نفسه، ص49.

الحكم بأن الشيء أبيض وأن العسل حلو وأن من طبيعة النار أن تحرق"(1)

غير أن الشك البيروني قد طال أكاديمية أفلاطون، فأثرت تعاليم بيرون على أحد رجالها و هو" أرقاسيلاس"(316-241ق م) ثم كارنيادس(214-129ق م) و هو الطور الثاني من المذهب البيروني الذي يمتد من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الأول ميلادي، و عرفت أكاديمية أفلاطون في هذا العهد بالأكاديمية الجديدة، و قد كان أرقاسيلاس يتميز بالبراعة الخطابية و المقدرة الجدلية، حيث كانت تتهاطل عليه التلاميذ للاستماع بهذه المقدرة الجدلية، و قد كان يناقش و لا يكتب، معتمدا على منهج سقراط في الجدل و تصنع الجهل أو على منهج أفلاطون الذي كان من عادته أن يناقش القولين المتناقضين.(2) هاجم الرواقيين و على رأسهم زينون محاولا زعزعة ثقتهم باليقين و حاول دحض نظرية "الفكرة الحقيقية" و كان يستخدم صيغ مثل " يلوح و قد يكون" و ما إلى ذلك، و قد أنكر إمكانية المعرفة سواء عن طريق الحواس أو العقل، و اعتبر التمييز بين الحقيقة و غير الحقيقة قائم على الاعتباطية، لعدم وجود وسيلة التي تمكننا من التمييز، وليست هناك علامة حقيقية أو مقياس نستخدمه للتمييز بين الادراكات، و مهما كانت التصورات فان الحكمة منها تغليق الحكم،و قد تابع كارنيادس مذهب أرقاسيلاس في إنكار الحقيقة، و أكد أن المعرفة الصادقة مستحيلة، لم يكتب و جادل الرواقيين على الخصوص و أنكر أن تكون علامة للحقيقة، انتقد العقل و العرف و قال بالاحتمال.(3)و قد أقام

1-يوسف كرم، المرجع نفسه، ص277.

2-المرجع نفسه، ص 278.

3-المرجع نفسه، 279.

حججا ضد إمكان القول بالانطباعات الحسية يمكن التمييز فيها بين الباطل والحقيقة، وضد القدرة على التمييز بأية عملية عقلية، لأنها مادامت قائمة على الإحساس فهي تفتقد إلى اليقين الذي يفتقده الإحساس، و النتيجة التي توصل إليها هو عدم القدرة على إمكانية أية معرفة على الإطلاق، وبالتالي لا يمكن إصدار أي حكم بل نتوقف عن الحكم بغير شروط.(1)

أما الطور الثالث من النزعة الشكية يتمثل في البيرونية الجديدة أو النزعة الشكية المتأخرة، حيث عادت هذه النزعة إلى الظهور في الأكاديمية، و ذلك مع "ينسيديموس(310-241 ق م) و أجريبا(214-169 ق م) فقام الأول بوضع المذهب وضعا علميا مدعما بحجج لتبرير تعليق الحكم، حيث أكد متفقا مع بيرون على عدم معرفة التكوين الحقيقي للأشياء، و أن أي فكرة مهما كانت يمكن أن تواجه مجموعة من الاعتراضات، لهذا لا يمكننا أن نقرر أو نحكم على الأفكار بأنها صحيحة أو باطلة، و ذلك دائما بالعودة إلى بيرون و ثورته ضد الرواقية القائلة باليقين و القطعية، و في الواقع إذ كلاهما و قعا في النزعة القطعية فإذا كان الرواقيون يجزمون على نحو قطعي فالشكاك ينفون على نحو قطعي.(2) ثم جاء أجريبا بعد "طينسيديموس" ليقد حججه الخاصة بشأن استحالة المعرفة الإنسانية، و عدم وجود اليقين، و وجوب تعليق الحكم و السبب في تعليق عندهم هو أن الإنسان إذا حكم في لحظة ما على شيء يستطيع في اللحظة نفسها أن يحكم على الشيء نفسه بضده، و إذا كان لكل رأي ما يعارضه و بالقوة نفسها، فالخروج من التناقض المستمر يستدعي التوقف عن إصدار الأحكام، و قد استند ينسيديموس على عشرة حجج في إقامة موقفه ضد الحقيقة، ردها أجريبا إلى خمس حجج و هي:

1-شاذلي الهوا ري، المرجع نفسه، ص 49.

2-وولتر ستيس، مرجع سابق، ص297.

1-حجة الجهل: إن كل الأشياء متماسكة ومترابطة فيما بينها، بحيث أننا لكي نعرف شيئا واحدا يجب أن نعرف كل الأشياء، وبالطبع لا نستطيع أن نعرف الأشياء كلها، فينتج أننا لا نعرف شيئا واحدا منها. فمثلا لكي نعرف شخصا ما نحتاج إلى معرفة أسلافه، وكل ماضيه وعلاقاته وكل مكوناته الجسمانية...الخ و من المستحيل معرفة هذه الأشياء، و من ثم فنحن نجهل هذا الشخص.

2-حجة خداع الحواس والعقل: لا توجد علامة لدينا لتمييز الحقيقة من الخطأ، فالحواس نفسها تبين أن العصا منكسرة في الماء ومستقيمة خارجه، أين الحقيقة؟ وفي الأحلام نرى أشياء لا نراها في اليقظة، فأيهما حقيقة؟ والمجنون يهذي و هو مقتنع بأنه سليم، و بأن الناس حمقى، فمن يدريني بأنني لست أنا المجنون؟ ويلجأ الشكاك أحيانا إلى براهين غريبة كدليل على عجز العقل، و مثالها برهان الكذاب و هو رجا من جزيرة كريت يقول "إن كل الكريتيين كاذبون" فهل هو كاذب أو صادق، فان كان صادقا فهو كاذب باعتباره كريتيا، و إن كان كاذبا فهو صادق، حيث يقرر كذب كل الكريتيين.

3-حجة التناقض: أي وجود تناقض بين أراء الناس، واختلاف بين الشعوب، وهذا مبرر على إنكار الحقيقة، فاختلاف الناس فيما بينهم جسميا و عقليا يترتب عنه اختلاف إحساساتهم و أحكامهم، فالصغير يختلف عن الراشد، و الكهل يختلف عن العجوز، فضلا عن ذلك اختلاف العادات و التقاليد بين الجماعات و الشعوب يؤدي إلى اختلاف نظرتهم و أحكامهم على الأشياء و الأشخاص.

4-حجة استحالة البرهان: المغالطة القائمة على التسلسل يلخص أجربا هذه الحجة، فيقول: كل برهان إما أن يستند إلى مقدمات مبرهنة، وإما إلى مقدمات غير مبرهنة، فإذا كانت المقدمات مبرهنة، فيجب برهانها ثم بيان برهانها،وهكذا إلى مالا نهاية، مما يستحيل معه البرهان، أي لكي نبرهن على قول، فلابد من أن نستخدم قولا أسبق، وهذا إلى ما لانهاية.

5-حجة الوقوع في الدور: أي كل ما نبرهن عليه في قضية في حاجة لكي يبرهن عليه-هذه القضية نفسها، فلكي نبرهن على شيء ما فلن نبرهن عليه إلا بنفسه، وهذا ما يسمى بالدور، وخلاصة هذه الحجة إننا حينما نثبت إمكان المعرفة أو قدرة العقل على المعرفة، فإننا لن نستطيع أننفعل ذلك إلا

بالاعتماد على قدرة العقل نفسه، فكأننا نثبت الشيء نفسه.(1)

5-الأفلاطونية المحدثة: اختلف الباحثون بخصوص الأفلاطونية الجديدة من حيث هل تنتمي إلى الفلسفة اليونانية أم فلسفة العصور الوسطى؟ فقد أدرجها بعض الباحثين في فلسفة العصور الوسطى، لأنه قد انقضت حقبة لا تقل عن خمسة قرون تفصل تأسيس الأفلاطونية الجديدة عن المدارس اليونانية السابقة، الرواقية و الأبيقورية و الشكية، و قد ولد أفلوطين المؤسس الحقيقي للأفلاطونية الجديدة عام 205 ميلادي، لذلك فمن الناحية التاريخية فهو ينتمي للحقبة المسيحية، و لأن طابع الأفلاطونية هو طابع غير يوناني و غير أوروبي، فالتصوف الشرقي كان قد اجتاح الفكر اليوناني إلى حد كبير، و كما أن مقر الأفلاطونية المحدثة ليس اليونان بل الإسكندرية كمدينة عالمية و هي تمثل بوتقة تلتقي فيها جميع الأجناس و الثقافات الشرقية و الغربية.(2)

غير أن وولتر ستيس يرى أنه من الخطأ إدراجها ضمن فلسفة العصور الوسطى، لأن الفلسفة الوسيطية نشأت على أرض مسيحية، بالإضافة إلى ذلك الأفلاطونية المحدثة عبارة عن إحياء للوثنية في الحقبة المسيحية" فهي تمثل الروح الوثنية القديمة وهي تناضل بائسة ضد منافستها الفتية و هي تموت، و فيها نرى الأنفاس الأخيرة و الزفرة الأخيرة للثقافة اليونانية القديمة" لذلك يعتبرها مضادة للفلسفة المسيحية، و تصنف بصفة عامة باعتبارها المدرسة الأخيرة في الفلسفة اليونانية.(3)ويعتبر وولتر ستيس الفيلسوف اليهودي فيلون الذي عاش بين 30ق م و50 م، و الذي اعتقد بأن أفلاطون و أرسطو هما تابعان من أتباع موسى باعتبارهما استغلا الكتاب المقدس في عهده القديم و استمد منه فلسفتهما، هو المسؤول إلى حد كبير عن تلوث الجو النقي الخالص للفكر اليوناني بضباب التصوف الشرقي*

1-حسين علي" **ما هي الفلسفة**" التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2011، ص ص24-26..

2-وولتر ستيس، المرجع نفسه، ص 259.

3-المرجع نفسه، ص300.

*-من خلال فكرة الوسائط التي اقترحها فيلون بين الله و العالم، وأولها اللوجوس و هو التفكير العقلاني الذي يحكم العالم، فالله لا يتصرف في العالم مباشرة و إنما عن طريق الوسيط و علاقة اللوغوس بالله هي علاقة فيض نقدي.

الواهن.(1)

ولد أفلوطين سنة 205 م في ليقوبوليس بمصر وذهب إلى روما وأسس مدرسة هناك وظل على رأسها حتى وفاته سنة270 م، كان تلميذه فورفزريوس معجبا به أشد الإعجاب و هو الذي قام بترتيب كتاباته في شكل نسقي، و قسمه إلى ستة كتب تحتوي كل منها على تسعة فصول و من هنا سميت "بالتاسوعات" التي شكلت كل أعمال أفلوطين،(2)عرف المسيحية بدون شك لكنه لم يعتنق المسيحية قط، ورأي أن الله واحد على الإطلاق وهو الوحدة الكامنة وراء كل كثرة و هو ليس فكرا و لا إرادة و لا نشاط، و هو وراء كل فكرة و كل وجود، و هو لامتنا هي بشكل مطلق، مفارق بشكل مطلق، و بالتالي لا يمكن تحديده بشكل مطلق متأثرا بالوا حدية الشرقية، لكن كيف يمكن للعالم المتعدد أن يصدر عن الله الواحد؟ لا نستطيع أن نجد طريقا يفضي بنا من الله إلى العالم، لأن هذا الأمر يوقعنا في تناقض، غير أنه بوصف أفلوطين صوفيا لجأ إلى الشعور و التشبيه على الطريقة الصوفية، فالله بفضل كماله الفائق يفيض و يصبح هذا الفيض هو العالم، فالله يرسل إشعاعا من نفسه و لما كان اللهب يبعث النور كما يبعث الثلج البرد، فنجد كل الكائنات الدنيا تصدر عن الله الواحد(3)

الفيض الأول من الواحد هو العقل، و هذا العقل هو الفكر، و هو مطابق لعالم المثل عند أفلاطون، أي في العقل أو النوس توجد الأفكار(المثل) لا أفكار الفئات فحسب بل أفكار الأفراد أيضا، و النوس نفسه هو الصانع الأفلاطوني في محاورة "طيماوس" و هكذا تظهر الكثرة في النوس لأول مرة، و النوس أزلي يتجاوز الزمان و المكان، فهو يعرف الأشياء جميعا، و من النوس تصدر النفس الكلية التي تناظر نفس العالم، و هي ليست مادية و لا يمكن أن تنقسم، و إنما تشكل همزة وصل بين العالم الحسي و عالم ما فوق الحس، و النفس هذه تنظر إلى الأعلى و إلى الأسفل نحو الطبيعة، فتكون نفس علوية تقترب من النوس و ليست على علاقة بعالم الطبيعة أو العالم المادي، أما النفس الثانية و هي النفس

1-المرجع نفسه، ص 300،301.

2-فريد يريك كوبلستون، مرجع سابق "**تاريخ الفلسفة**" ص617.

3-وولتر ستيس، المرجع نفسه، ص ص 303-305.

السفلية تمثل النفس الحقيقية للظواهر، أي النفس الجزئية، بمعنى النفس الجزئية تمثل الأنفس البشرية الفردية، بينما أفلاطون يضع نفس واحدة للعالم هي النفس الكلية.**(1)**

بناء على ما سبق فان أفلوطين يضع أربع أقانيم، أي أربعة جواهر أولية: "الواحد" أو الأول ثم ثلاثة صادرة عنه على النحو التالي، هي: العقل، فالنفس، فالمادة، ويبرهن على صدورها بالجدل النازل و على وجودها بالجدل الصاعد، و عن طرق الانجذاب النفس الإنسانية تتجاوز العالم المعقول و تتحد بالواحد الذي لا مجال فيه للتعيين، و هو بهذا يخرج عن الفلسفة العقلية و يتفق مع الأفكار الهندية، على خلاف أفلاطون الذي كان يرمي بفلسفته إلى إدراك مثال الخير و الجمال، أي إدراك أسمى المعقولات.**(2)**

الخاتمة: ختاما لما سبق أن نستخلص ما يلي: هو أن نظرة الفلاسفة اليونان للعالم والإنسان بدأت بالنظرة الأسطورية، وهذه الرؤية تناسبها لغة الشعر والقصص الأسطورية، فكانت لملحمتي الإلياذة و الأوديسا دورا محوريا في تلخيص بنية الثقافة اليونانية، غير أن تغيرات سياسية و اجتماعية و اقتصادية و فكرية ساهمت في انتقال الفكر اليوناني إلى الرؤية الثانية للعالم و هي التفسير العقلاني للكون، فظهرت الفلسفة الطبيعية و شاعت مقولات الفلسفة المادية الطبيعية كالماء و النار و الهواء و التراب، حيث كان الهاجس الأكبر الذي سيطر على مخيلة الإنسان اليوناني هو: كيف نفسر الطبيعة انطلاقا من مبدأ الطبيعة ذاتها؟ وكان هذا مع الفلاسفة الطبيعيين الأوائل والمتأخرين.

وبعد أن سادت هذه النظرة المادية الميكانيكية للعالم، ظهرت نظرة ثالثة، لكن هذه المرة ليست للعالم الخارجي بل للعالم الداخلي(الإنسان) أي توجه مصب اهتمام الفكر إلى الاهتمام بالإنسان و جميع قضاياه الأخلاقية و الاجتماعية و المطالب العملية التي تساعده على النجاح في حياته العملية، و كان هذا مع الحركة السفسطائية التي طرحت مشكلة المعرفة، فأصبح منحى التفكير الفلسفي منصبا على مراكز جديدة هي: الذات الإنسانية، المدينة و الحياة المشتركة، و رافقتها ظهور فضائل جديدة هي:

1-فريديريك كوبلستون، المرجع نفسه، ص ص618-624.

2- يوسف كرم، المرجع نفسه، ص ص290-292.

الملكة اللغوية البلاغية، تمجيد الفر دانية و نسبية المعرفة، فتعاظمت مكانة الإنسان أكثر من وقت مضى، حيث ازدادت حريته و أصبح يقرر مصيره بنفسه، مدركا لنسبية القيم و العادات و القوانين الإنسانية، باعتبارها ذات إنساني لا الهي، و استمر الاهتمام بالذات الإنسانية مع سقراط الذي قدر له أن يعيد النظام للمجتمع اليوناني جراء الفكر السفسطائي الهدام، فكانت رؤيته لطبيعة الإنسان و لطبيعة النظام الأخلاقي المرغوب فيه تختلف عن نظرة السفسطائيين له، حيث رفض الفلسفات النظرية السابقة له و الفكر السفسطائي الهدام و نحا بالفلسفة اتجاه الحياة العملية الأخلاقي، لأن الحكمة عنده هي "كمال العلم بكمال العمل" و هذه المرحلة من الفلسفة اليونانية بطوريها: قبل سقراط و مع سقراط و الحركة السفسطائية، تمثل طور النشأة، و تليها مرحلة النضج من الفلسفة اليونانية مثلتها فلسفة أفلاطون و أرسطو، حيث يعد أفلاطون أول فيلسوف بنا نسقا فلسفيا كاملا لجميع جوانب الحياة: الوجود، المعرفة، و النفس، الأخلاق و السياسة، و الجمال، ثم أرسطو الذي حاول أن يحد من مثالية أفلاطون، فكان أكثر واقعية لإيمانه بأن العالم الخارجي هو العالم الحقيقي و ليس مجرد ظل لعالم المثل، ومن هذا العالم الخارجي الواقعي يستمد الإنسان معارفه، رغم أنه حسب اعتقاد بعض الباحثين حول المثل الأفلاطونية إلى الصورة، بمعنى يمكن اعتباره لدى هؤلاء الباحثين من أعظم الأفلاطونيين، فالمثل الأفلاطونية المفارقة حولها أرسطو إلى صور محايثة للمادة، فتنقلها من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل، و قد بنا هو الأخر نسقا فلسفيا متكاملا في جميع مجالات الحياة الإنسانية: الطبيعة، الميتافيزيقا، النفس، الأخلاق، و المنطق و السياسة و الفن.

غير أن الفلسفة اليونانية بعد أرسطو شهدت تراجعا مذهلا، وذلك بعد خروج الفكر الإغريقي من أثينا إلى حوض البحر المتوسط و تأثره بالنزعة الصوفية السائدة في الفكر الشرقي و الديانة المسيحية و

اليهودية، فظهرت مدارس جديدة قديمة، كالمدارس السقراطية الصغرى، و الأبيقورية و الرواقية، و الأفلاطونية المحدثة و الشكاك، و هي المرحلة الأخيرة من الفلسفة اليونانية، أي مرحلة الذبول.

و ما يجب أن نستنتجه مما سبق هو أن الفلسفة اليونانية احتوت جميع فروع الفلسفة: فقد بحثت في الوجود، بشقيه الطبيعي الحسي و الميتافيزيقي (الطبيعة و ما بعد الطبيعة) و المعرفة، من حيث مصدرها و طبيعتها، فقط نظروا إلى المعرفة من خلال الوجود، و القيم بأبعادها الثلاثة: الأخلاقية و المنطقية و الجمالية.

قائمة المصادر والمراجع (البيبليوغرافيا):

-قائمة المصادر:

أولا-المصادر باللغة العربية:

1-أرسطو طاليس، السياسة، ت/أحمد لطفي السيد، مكتبة فلسطين للكتب المصورة، عدم وجود رقم الطبعة و سنة الطبع.

2-" علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ج1، ت/ أحمد لطفي السيد، دار الكتب المصرية، عدم وجود رقم الطبعة و سنة النشر.

3-" ما بعد الطبيعة، دار القفار، اللاذيقية، ط1، 2008.

4-" النفس، ت/ أحمد فؤاد الأهواني، المركز القومي للترجمة، القاهرة، عدم وجود رقم الطبعة، .2015

5-أفلاطون، الجمهورية، ت/ حنا خباز، مؤسسة الهنداوي للتعليم و الثقافة، مصر، ط1، .2017

6-" القوانين، ت/ حسين ظاظا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، .1986

7-"محاورة بارمنيدس، ت/ حبيب الشاروني، المجلس الأعلى للثقافة، عدم وجود رقم الطبيعة، .2002

8-" محاورة جورجياس، ت/ حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للتأليف و النشر، مصر، ط1، 1970.

ثانيا-المصادر باللغة الأجنبية:

1- Aristote « Métaphasique » traduction et de j, tricot, éditions les Echos du maquis(e pub, PDF) v : 1, à janvier 2014. Livre 1-A(985 b-987b)

-قائمة المراجع:

أولا-المراجع باللغة العربية:

1-أل ياسين جعفر، فلاسفة يونانيون من طاليس إلى سقراط، مكتبة البصائر، بيروت، لبنان، ط1، 2012.

2-أمين، أحمد، ومحمود، زكي نجيب، قصة الفلسفة اليونانية، مطبعة دار الكتب المصرية، ط2، 1935.

3-إمام عبد الفتاح إمام، الأخلاق و السياسة (دراسة في فلسفة الحكم) المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2002.

4-السواح، فراس، الأسطورة و التاريخ، مكتبة عين الجامعة، سوريا، عدم وجود رقم الطبعة و سنة النشر.

5-بدوي عبد الرحمن، ربيع الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، ط4، 1970.

6-" " فلسفة العصور الوسطى، مكتبة النهضة المصرية، ط2 .1969

7-حلمي، أميرة مطر، الفلسفة اليونانية، تاريخها، مشكلاتها، دار قباء للطباعة و النشر، القاهرة، ط1،

.1998

8--زكريا، فؤاد، التفكير العلمي، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1978.

9-ستيس، وولتر، تاريخ الفلسفة اليونانية، ت/ مجاهد عبد المنعم، دار الثقافة للنشر و التوزيع، القاهرة، عدم وجود رقم الطبعة، .1984

10-عبد الله، محمد فتحي، النحلة الأورفية، أصولها، أثارها على العلم اليوناني، النسخة الالكترونية، www.pdffactory.com

11-علي حسين، ماهي الفلسفة، التنوير للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط1، .2011

12-علي محمد، محمود، الأورغانون الجديد أول كتاب علم البشرية التفكير العلمي، ط1، 2021، النسخة الالكترونية.Noor-book.com.

13-قرني، عزت، الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون، دار الطبع ذات السلاسل، جامعة الكويت، ط1، .1993

14-كرم، يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية، مؤسسة الهنداوي للتعليم و الثقافة، عدم وجود رقم الطبعة، .2017

15-" " تاريخ الفلسفة اليونانية، كلاسيكيات الفلسفة، تقديم وشرح وتعليق مصطفى النشار، الدار العربية للكتب، مصر، عدم وجود رقم الطبعة، .2019

16-كاظم الولي، عبد الجليل، الفلسفة اليونانية، مكتبة غريب طوس، ط1، ذ2009.

17-كوبلستون، فريديريك، تاريخ الفلسفة، المجلد1(اليونان و الرومان) ت/ إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، عدم وجود رقم الطبعة و سنة الطبع.

18-لايرتيوس، ديوجين، مختصر ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة، ت/ عبد الله حسين، المجلس الأعلى للترجمة، ط1، 2006.

19-نجار، رمزي، الفلسفة العربية عبر التاريخ، دار الأفاق بيروت، ط1، 1977.

ثانيا-المراجع باللغة الأجنبية:

1- Miller, Fred, Aristotle's Political Theory, The Stanford Encyclopedia of Philosophy (Summer 2017 Edition), Edward N. Zalta (ed.), URL = https://plato.stanford.edu/archives/sum2017/entries/aristotle-politics.

2- Paideia, W, Jaeger , the Ideas of greek Culture , trans by highet, Oxford

3- werner, Jager, Theology and early greek philosophers, the theology of the greek thinkers , the gifford lectures 1936.

-قائمة المجلات:

1-الهوا ري الشاذلي، مجلة الراصد العلمي، جامعة وهران1، أحمد بن بلة، العدد5، ماي 2018، من الشك الفلسفي إلى النسبية العلمية، دراسة كرونولوجية.

2-بن دحمان، الحاج، مجلة مقاربات فلسفية، جامعة غليزان، المجلد8، العدد1، 2021، نظرية المعرفة عند أرسطو.

-قائمة الموسوعات:

1-بدوي، عبد الرحمن، الموسوعة الفلسفية، الجزء الأول، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط1 .1984.

2-مرحبا، محمد عبد الرحمن، الموسوعة الفلسفية الشاملة، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، المجلد1، عويدات للنشر و الطباعة، بيروت، ط1، 2007.

3-غالب، مصطفى، في سبيل موسوعة فلسفية، الجزء7، دار مكتبة الهلال، بيروت، عدم وجود رقم الطبعة، 1988.